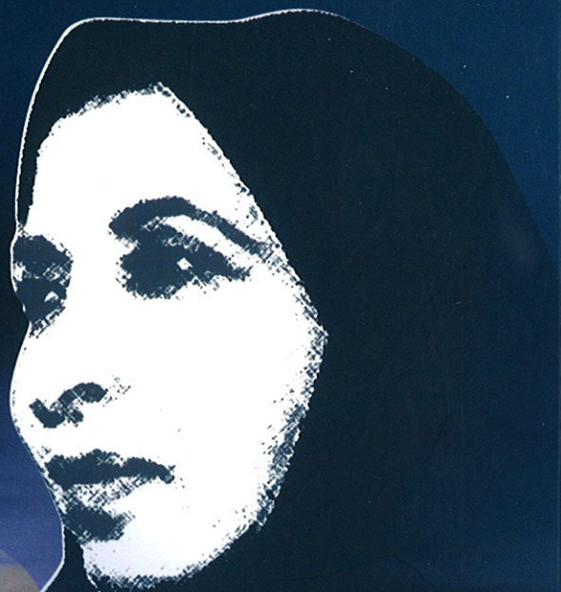


سعاد الصباح



وردة

البحر

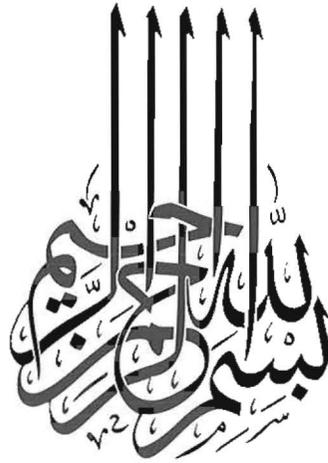
حمدية خاف

سعاد الصباح

وردة البحر

حمديّة خلف

أغسطس 2006م



«وردة البحر» د. سعاد الصباح

«وردة البحر هي الكويت
وهي القصيدة الأعلى والأجمل
في قلب وفكر سعاد الصباح
فما أروع أن تحمل الابنة عبير أمها!»

المؤلفة



وردة البحر



د. سعاد الصباح

إليهم

«الذين لا يعرفون قيمة الثراء الشخصي
والمروءة في صنع مجد وقيمة الإنسان...
أهدي مسيرة امرأة تركت وراءها الثراء العابر
واختارت أن تكون بجانب الإنسان.»

حمديّة خلف

هداء



تقديم

السيرة والمسيرة لماذا؟؟

عرفت الشاعرة سعاد الصباح عن قرب منذ ولادة ديوانها الأول «ومضات باكرة» عام 1961، وعرفت الانسانة سعاد الصباح من خلال تواجدي في الساحة الاعلامية الكويتية طوال ثلاثة عقود أتابع بالكثير من الاعجاب والدهشة مسيرة هذه الشاعرة الخليجية ذائعة الصيت وتحديها للقيم البالية، وتحملها الصابر والصامد لخفافيش الظلام التي تختلق الشائعات وتسج الأكاذيب وهي ماضية في طريقها لا تضعف ولا تتوقف، وعرفت سعاد الصباح الزوجة المحبة والوفية والعاشقة للزوج الكبير... الكبير مكانة وحنانا ومروءة، فادهشتني هذه العلاقة الحميمة التي تتمناها كل امرأة في حياتها الزوجية...

أرى فيها المثل والقُدوة للمرأة العربية الفاضلة، التي أعطاه الله الكثير فأعطت الكثير والأكثر وكرست حياتها ومالها وشعرها الصادق لمساندة المقهورين والمظلومين والبؤساء، وحملت قضايا الانسان والمرأة العربية المقهورة الى كل مكان ذهب اليه، وكل منتدى دعيت فيه، وكل حرف من حروف قصائدها الجميلة التي أمتعتنا طوال ما يقرب من نصف قرن.

أنا واحدة من هؤلاء النسوة اللاتي نشأن في صعيد مصر وذقن مرارة يتم الأنثى في وجود أبويها وغربتها وقهرها في بيتها ومع أهلها وعشيرتها، لذلك وجدت فيها المتحدث الرسمي لنساء العرب، والمحامي الجميل الذي يدافع

عنهن، والصوت المؤثر الذي ينبض بأوجاعهن ويمشي أمام القافلة مقتولة أو قاتلة «على حد تعبيرها».

منذ السنوات الأولى ليزوغ نجمها كشاعرة وانسانة، وأنا أفكر في تسجيل سيرتها ومسيرتها، ولأنني امرأة كما ذكرت خارجة من رحم العشيرة وعارفة بظنونها آثرت التأجيل لهذا المشروع الذي احتلني شبرا فشبرا «على حد تعبيرها».

بعد صدور ما يقرب من عشرين مؤلفا ودراسة عن سعاد الصباح الشاعرة... كان لا بد من الاقتراب من سعاد الصباح الانسانة والمواطنة المسكونة بقضايا عالمها الخليجي والعربي، التي بنت ثروتها الباقية بنفسها وإبداعها وعلمها، واستخدمت ثروتها الفانية في مساندة قيم وقضايا حيوية للانسان ولجتمعهها، حتى صارت نموذجا يحتذى، امرأة جديرة بكل ما يحيط بها من ضوء وشهرة، وأنا أدين لوطنها بالكثير وحرفتي «الكتابة» وقد عاصرت العديد من الشخصيات التي كانت لها بصمات واضحة في الساحة الانسانية والأدبية في الكويت.

ولذلك أرى من واجبي أن أكتب عن هذه الشخصيات، ولما كانت سعاد الصباح من أوائل الشخصيات التي عرفت وأكثرهن شهرة اقتريت منها وشدتني مسيرتها، فلماذا لا أبدأ بها وقد كتب عنها الكثيرون غيرى ربما أكون أنسب للكتابة بحكم القرب والمعرفة والتعلق بهذا النموذج الرائد.

شجعتني أكثر دعوة أطلقها الأمير السعودي طلال بن عبدالعزيز لكتابة تاريخ وتوثيق سيرة ومسيرة الريادات النسائية العربية صاحبات البصمة

المؤثرة في أوطانهم، تكريماً لهذه الريادات التي تصدت للتخلف والجهل، وبعثت حركة التنوير من ثباتها وتحדת القيم العقيمة، ودعمت مسيرة المرأة العربية والانسان العربي بشكل عام، تعزيزاً لصمود الأجيال القادمة وتأسيسهم بالرواد العرب رجالاً ونساءً. الدعوة وجدت هوى في نفسي فقرررت أن أبدأ سلسلة من المؤلفات عن هذه الريادات أبدأها بسعاد الصباح، وهي امرأة فاضلة يعرف مواطنوها موقعها الانساني والأدبي، وتربطني بها أواصر معرفة ومحبة لتهجها الانساني وشعرها.. صداقة تنمو بين الصحفي ومصدره أتاحت لي معرفتها عن قرب ورؤيتها في السراء والضراء، علاوة على أن مهنتي أتاحت لي الحصول على مخزون كبير من عالمها الواقعي بكل ما دار فيه من حقائق وتفاصيل تسرى في ذاكرتي سريان الدم في الشريان، واستحضارها من الذاكرة ميسور لأنقل للقارئ نقل الشاهد العيان، حيث سعيت للقاء مع شهداء لطفولتها وصابها، أطلوا على عالمها من كل الزوايا وعاشوا معها، وفي كثير من الأحيان تولد أفكارها ومشاريعها الانسانية أمامهم وبين أيديهم فيشهدوا كيف كان المخاض عسيراً أو سهلاً، وراقبوا في شغف ومحبة بزوغها الجميل في عالم الشعر والانسانية... عالمنا المتعطش لهذا الندى الانساني.

قد يقول قائل: ولماذا كتاب جديد عن سيرة ومسيرة سعاد الصباح؟ وقد صدر عنها كشاعرة العشرات من الكتب والدراسات وخصصت بعض الجامعات دراسات عليا في شعرها، وهي شيخة ذائعة الصيت في وطنها وخارج هذا الوطن حتى على المستوى العربي معروفة بدرجة كبيرة وعلى المستوى العالمي أيضا. وهي شاعرة تغطي قصائدها الآفاق. وقد كتب كثيرون عن سعاد الصباح الأكثرية مادحاً والبعض قادحاً، أي أن سيرتها تعطر الآفاق سواء في مجال الشعر أو الثقافة أو الاقتصاد الذي تخصصت فيه حتى نالت درجة الدكتوراه من جامعة ساري جلفورد البريطانية.

وماذا يمكنك أن تضيفي أنت أيتها الصحفية عن اسهاماتها التي يعرفها الجميع في المجال الثقافي والانساني الكويتي والعربي، وهذا صحيح. لكن الكتابة وتوثيق سيرة ومسيرة انسان تختلف عن تلك الكتابة المتخصصة في النقد الأدبي، أو الفاحصة لأعمالها وسيرتها الذاتية.

وتختلف عن الدراسة العابرة والعاجلة المعلقة على أخبار المشاهير والمحللة لأعمالهم... كتابة السير تحتاج إلى الغوص في الأعماق والاقتراب من الشخصية أكثر، والحديث عنها بحرية ودون تملق أو مجاملة. ولا أظنني بحاجة إلى هذه المجاملة ولا أظن أن الدكتوراه سعاد بحاجة إليها، بعد كل ما وصلت إليه من شهرة ومجد وشهادات ممن هم أكبر وأروع في رواية الأحداث دون شبهة أو زيف.

ولكن ماذا أفعل وفي قلبي مكانة كبيرة لهذه الرائدة؟ وفي حلقي أحرف وكلمات ترصد حركتها وتتبع مسيرتها الخيرة، وتتشوق لتسجيل هذه المشاعر

بعد تواصل مع الاعلام الكويتي ما يقرب من ثلاثين عاما، وتواصل مع بطلة هذا المؤلف ما يزيد عن ذلك بعشر سنوات أو أكثر حين التقيت بها لأول مرة في سفارة مصر ببروكسل حيث كنت أعمل، وربطت بيني وبينها محبة وإعجاب «من جانبي» بحياتها المحبب وشغفها بالعلم والشعر، حيث أهدتني في ذلك الحين ديوانها الأول، والشعر منذ زمن طويل زادي المحبب، فما بالك في غربتي ومن امرأة جميلة ورائعة اسمها سعاد الصباح، ورغم كل هذه المشاعر فقد عاهدت نفسي أن أكون موضوعية ما أمكن وراوية محايدة ما استطيع.

ترى هل يشفع لي كل ذلك لكي أبدأ رحلتي في عالم سعاد الصباح، خاصة أنني أردت تقديمها للذين لا يعرفون الإنسانة سعاد الصباح من غير المهتمين بالشعر والشعراء وهم الأغلبية في عالمنا العربي!

لا أظن أن كل ذلك يجدي، إذن فلأدخل دون تردد إلى نبض الحلم النبيل، ولأترك لفطنة القارئ أن يتلمس صدق النوايا وشفافية الغاية واستحقاق هذه الشاعرة الانسانية القادمة من رحم المروءة لأكثر من عشرين مؤلفا صدرت عن شعرها وأعمالها الأدبية والانسانية حتى الآن، وترجمت أعمالها إلى اللغات الانجليزية والأسبانية والإيطالية والفرنسية والألمانية والصينية والبلاغارية ولأوكرانية والطاجيكية، ونزيدها واحداً كتبه بمداد القلب والمحبة للكويت وأهلها وفي مقدمتهم سعاد الصباح، وأمنية معلقة في الخاطر والوجدان أن أوفي الشاعرة حقها والقارئ حقه وهي أمنية لا يمسه غبار لدى أي كاتب يحترم القارئ ويحترم ذاته.

الصفحات القادمة عن امرأة تحدث القهر والاستبداد وكرست حياتها ومالها وابداعها لنشر الكلمة الصادقة ودفع الأمل في النفوس الحائرة، فأضاعت الطريق أمام من أظلم اليأس عالمهم، وأقعد المرض عزيزهم وأعوز الفقر أغناهم نفساً... الكثيرون عرفوا سعاد الصباح شاعرة والأكثر عرفوها انسانة تمد يدها الى المعوزين والمحتاجين دون أن تكبدهم ذل السؤال، ولا تعرف يمينها ماذا تصنع شمالها. وتمد فكرها وبصرها الى اليائسين الذين أوهنهم التحدي وأقعدهم الحزن وقتلتهم الشائعات المغرضة، فتمسح دمعهم وتكتب بقلمها وقلبها دفاعاً عنهم... وهي نموذج للمرأة العربية القوية في الحق التي لا يوهنها التحدي بل يزيدا صلابة وقوة.

هي امرأة اختارها الحزن مرات ومرات وسرق منها أعز ما لديها حين فقدت حبات القلب والفؤاد ومع ذلك لم تقعدا الأحزان وإن بقيت تنام في القلب والأحداق، بل زادتها ايماناً بالله واحتساباً لثوابه ورحمته، وأورثتها فضيلة احترام أحزان وآلام الآخرين، ولأنها امرأة مبدعة ومشهورة فإن أول شيء يقدمه البعض لمبدعينا خاصة من النساء الشائعات والافتراءات المغرضة عن حياتهن، وعلى العكس زادتها هذه الشائعات قوة وثقة بموقفها وحفزتها على المزيد من الابداع.

امرأة ذات مال وجاه وحسب ونسب.. وكلها أشياء قد تغني صاحبها عن بناء ثروته الأعلى والأبقى التي يصنعها بنفسه، ذلك الغنى الذاتي والمجد الخالد الذي يصنعه الانسان بعلمه وصبره ودأبه الطويل في دروب الخير والمعرفة. ذلك الثراء النفسي الذي أضاع حولها بأكثر مما أضاعت تلك الثروات والأنساب، والذي جعل اسمها في سماء الثقافة والابداع ودروب الخير منارة لا تطفئها الأيام فبنت مجدها الشخصي بيديها بعلمها ومواقفها.

هل تريدون المزيد عن هذه المرأة؟ نعم وفاؤها نادر للرجل الوحيد الذي أحبته وكرمته بما يستحق من تكريم، الرجل الذي ساندها وأزرها وآمن بأبداعاتها ولفها بحنانه ودعمه في أكثر لحظات حياتها ألماً وقسوة. وفاؤها للبسطاء قبل العظماء، وللأقرباء والغرباء على السواء لأن الجميع لديها إخوة في الانسانية. وفاؤها للأصدقاء ولأمومتها في زمن تجرأنا فيه تيارات الحياة، ويخدعنا بريق الشهرة الزائفة عن تأدية فريضة الأمومة كما يجب أن تكون نحو فلذات الأكباد أبنائنا. سعاد أدركت بوعيها الراقى أن الأمومة هي رسالتها الأجل والأرقى فاحسنت الغرس والجهد وقطفت الثمار... قطوفاً دانية من خلق ودين وعلم وبساطة رصعت مسيرة الأبناء وجعلتهم حدائق بشرية تعطر حياتها ومسيرتها ومسيرة وطنهم.

وفي زمن يتنكر فيه أنصاف المعروفين والمشهورين لأقرب الناس إليهم فإن سعاد الصديقة الوفية ترتبط بأصدقائها واساتذتها برياط انساني وثيق رفيع من القيم، لا يتغير مع الزمن بل يزداد رسوخا، سعاد صديقة لأصحاب القيم الكبيرة، لذلك تجدها صديقة من تتوافر فيهم من البسطاء والفقراء قبل العظماء والأغنياء، لذلك حظيت بحب واحترام الكثيرين سواء في وطنها أو خارج هذا الوطن.

امرأة مثلها كويتية الأصل عربية الهوى والقلب قد لا تتكرر كثيرا، وشاعرة طاولت شهرتها الأفاق، وشيخة قادمة من رحم المروءة وإليها وحدها تنتمي، هي في نظري نبض صادق للحلم الانساني النبيل، أليس من واجبي وقد عاصرتها واقتريت من عالمها وأحببت وطنها، أليس من واجبي تجاه هذا الوطن وهذا النموذج الشفاف والجميل تسجيل هذه السيرة المشرفة عن واحدة من أهم نساء وشاعرات هذا الجيل العربي أثرا في الفكر والانجاز الثقافي والإبداعي العربي؟ أمد الله في عمرها لتظل بانسانيتها هي وعدد كبير من رفاق درب الخير من نساء ورجال الكويت وأمة مروءة ومحبة وارفة على أرض هذا البلد المعطاء بانسانه وقيمه قبل خيراته وثرواته.

حمدية خلف



اللقاء الأول مع:

العروس الشاعرة



ليعذرني القارئ، كان من الطبيعي أن أبدأ مسيرة الشاعرة الكويتية بالحديث عن طفولتها وصبائها وبيئتها ولكنني رتبت الأبواب حسب بداية معرفتي بها فسبق هذا الفصل الفصل الأول لذلك استسمحكم العذر والتفهم.

المكان السفارة المصرية ببروكسل شارع avenue luise وهو من أرقى شوارع العاصمة البلجيكية في ذلك الوقت، أو حي السفارات كما كان يسمى.

كان ذلك عام 1963 حيث كنت أعمل ضمن البعثة المصرية هناك... وكان سفيرنا هو أمين شاكرا أحد رجال الثورة المصرية الأحرار ومن ضباطها المثقفين «رحمه الله». كانت السفارة على الدوام ملتقى لرجال السياسة والفكر البلجيكي والعربي تعج بالحركة والنشاط، وكان من حسن حظي أن أعمل مع هذا الرجل الذي كان نموذجا للوطنية والاخلاق والوفاء لمصر والعروبة، لذلك كان بيته ملتقى لكبار الشخصيات السياسية البلجيكية والعربية المارة بالعاصمة البلجيكية أو الزائرة لها في رحلات عمل أو سياحة.

كانت زوجته من أروع السيدات المصريات اللاتي التقيت بهن في حياتي، أصالة في الجذور ووعي بمهمتها كزوجة سفير، وثقافة تمكنها من أن يكون لها حضور بهي في المناسبات.

علاوة على أن انتماءها العائلي لأسرة عريقة وملاحاة في الوجه والخلق كل ذلك أهلها لأن تجعل من بيت السفير ناديا ثقافيا واجتماعيا، ومن الحوارات الدائرة في الاستقبالات الهامة التي يدعو لها رب الأسرة متعة للقلب والعقل.

كانت زينة الدمرداش حرم السفير أمين شاكرا رحمه الله محبة لمصر بأكثر مما نحلم في زوجة السفير ومشرقة كامرأة مصرية، لذلك اقترت منها كثيرا

وأسعدني أكثر اقترابها مني، وقد منحني ذلك شرف أن أكون قاسما مشتركا لكل دعوة عامة أو خاصة تقيمها في دار السفارة.

حتى تلك الدعوات التي يدعى إليها كبار الشخصيات كانت تحرص على تواجدي معهم، كان حرصها نابعا من رغبتها في أن يرى الغرب المرأة المصرية تعمل وتشارك في سفارة بلدها شأنها شأن الرجل تماما خاصة في ذلك الزمن الباكر.

ربما يكون هذا السبب هو الأقرب للتفسير في أنني قاسم مشترك لها ولدعواتها التي كانت تقدم فيها للبلجيك وغيرهم من ضيوف مصر، أجمل ما لديها من أطباق شهية وأحاديث راقية تديرها بجدارة مع ضيوفها مشاركة للزوج العزيز.

أقول كل ذلك ليعرف القارئ الجو العام الأول الذي التقيت فيه بنجمة الشعر الكويتي وقيثارته الدكتورة سعاد الصباح.

كان ذلك في ديسمبر من عام 1963 هاتفتني السفارة كما كان يطيب لي تسميتها، وقالت لي أنت مدعوة على غداء غدا لأن ضيوفنا شخصيات رائعة يهمنك جدا كإعلامية...

الضيف هو الشيخ عبدالله المبارك وهو قمة من قمم الحكم في دولة الكويت ومحب للعروبة وللمصر وصديق شخصي للرئيس عبدالناصر وزوجته العروس امرأة رائعة وأيضا شاعرة بدأ نجمها في البروز وأنت محبة للشعر وعاشقة للشعراء...

ذهبت إلى الدعوة وبالطبع انتقيت أفضل ما لدي من ثياب تليق بالضيوف الكبار... تصورت أن هذه العروس الخليجية قرينة هذه الشخصية العظيمة التي لم أكن أعرف الكثير عنها في ذلك الوقت، لابد أن تكون متدثرة بالفرير والماس وكل ما يشي بمكانتها في مجتمعا، لكنني فوجئت بشابة تقترب من سني وإن اكتشفت بعد ذلك أنها أصغر بسنوات، يكسو وجهها خجل محبب لا يزال يرافقها حتى الآن، تلبس ثيابا أنيقة لكنها بسيطة بأبسط مما تصورت. في جيدها عقد من اللؤلؤ يبدو لامرأة صعيدية مثلي شيئا بسيطا جدا بالنسبة لخيالاتي في ذلك الزمن الباكر عما يجب أن تلبسه أميرة خليجية قادمة من رحم الثروة والسلطة ابنة شيخ من شيوخ الأسرة الحاكمة في بلدها وزوجة رجل عظيم كان في ذلك الوقت نائبا لحاكم الكويت.

كانت ترتدي فستانا عاديا يمكن أن ترتديه أي امرأة من الصوف الكشمير وفوقه معطف من صوف الـ «camel»... «وبر الجمل»... وشعرها الأسود كليل الصحراء عقصته خلف الرأس على شكل «ذيل حصان que de cheval» وفي إصبعها خاتم من الماس رقيق المظهر.

تصدر ضيف الشرف المغفور له الشيخ عبدالله المبارك المائدة حيث دعاه السفير وحرمه وجلس سفيرنا في الجهة المقابلة وعلى يسار الشيخ حرمه مراعاة للتقاليد الكويتية، حيث يجري عادة ترتيب زوجة الضيف الكبير المكانة على يسار السفير وزوجة السفير على يسارها الضيف، كما كان يحدث في كل الموائد التي تضم ضيوفا كباراً بلجيك أو أجانب.

كان برفقة الضيف الكبير الشيخ صباح المحمد الصباح شقيق الدكتورة

سعاد وكان فتى وسيما وجذابا... ومدير أعمال الشيخ في ذلك الوقت الاستاذ حامد محمود وهو رجل قانون مصري من خيرة الرجال والأسر المصرية أبوه باشا من بشوات مصر السابقين، وقد اختير في نهاية الستينات نائبا لرئيس الوزراء في بلده وكان من السفارة المصرية سعادة السفير وحرمه وسكرتير أول السفارة عادل السماوي والسكرتير الثالث التجاري يحيى حافظ والملحق الدبلوماسي ايهاب طاهر وشخصي المتواضع. كنا ثلاث نساء: زوجة السفير وزوجة الضيف الكبير وشخصي.

اذكر جيدا الحوار الذي أداره السفير مع ضيفه الكبير عن رحلته من باريس إلى بروكسل بالقطار وهل كانت مرهقة ومن بين ما عرفت عن الضيف الكبير أنه يكره السفر بالطائرات، وتخلل الحوار حواراً عن الرئيس عبدالناصر الذي كان اسمه في ذلك الوقت يرفع رؤوسنا نحن المصريين، اكتشفت من الحوار مدى قرب الشيخ منه وحب مصر ولزعيماها، ومن بريق السعادة المطل في عيون زوجته الشابة الجميلة ومشاركاتها البسيطة في الحوار بصوتها الناعم الخفيض، أنها معه على خط التماس العاشق للعروبة وزعيمها. كما عرفت بحس الأنثى الذي لا يخيب كم هي متعلقة بهذا الزوج العظيم وعرفت أكثر إلى أي حد تحترمه وتجلّه وهو مثلها تماما.

كان ذلك باختصار شديد لقاءنا الأول وفي صالون بيت السفير في مقعد قريب من الأميرة الحاملة السوداء الشعر والعينين، عرفت أنها تكتب الشعر وعرفت هي عني أنني ذواقة مفتونة بالشعر والشعراء خاصة أنني حدثتها عن شاعري المفضل نزار قباني وديوانه الذي كان يملأ الآفاق «قالت لي السمراء».

وأمنت على حديثي بأنها أيضا تتذوق شعره وشعر نازك الملائكة وصلاح عبد الصبور، وتفرق بنا الحديث عن الحياة في بروكسل والحياة في باريس والقاهرة وصعيد مصر وطني ومفارقات هذه الحياة... انتهت السهرة على وعد بأن ترسل لي ديوانها الأول «ومضات باكره» حين تصل باريس.

حين عدت الى بيتي في ذلك المساء شعرت بأني أعرف هذه الكويتية الجميلة منذ وقت طويل، فقد أوجت لي بساطتها واحترامها لزوجها ومرافقيه واعتزازها بوطنها وانتمائها العربي بأنها مثل أي امرأة عربية تحترم ذاتها سواء من صعيد مصر أو من صحراء المغرب أو في غوطه دمشق أو أي موقع على خارطة الوطن العربي.

تمنيت بيني وبين نفسي أن يكون لي في غربتي هذه صديقة مثلها، ليبتها تبقى في بروكسل لكنني تذكرت أنها مسافرة في الغد مع الزوج العزيز، وأنها مهما كانت بساطتها وتواضعها فكيف تكون هناك صداقة بين سليلة الحكام والشيوخ وبين ابنة الشعب الكادحة المشغولة دوما والمتطلعة لتحقيق ذاتها من خلال عملها؟ كيف يمكن أن تستقيم العلاقة بيني وبين هذه الأميرة الحاملة التي تُفَتِّح لها المطارات والسفارات والقصور لتأنس بزيارتها وتكتب الجرائد والمجلات أخبارها وأخبار زوجها العظيم الذي كان عظيما في تواضعه أيضاً؟

في اليوم التالي سمعت صوتها على الهاتف فشعرت بفرح كبير. كم هي ودودة وحنونة هذه السيدة، وكم هي رقيقة ومقدرة لشاعري الصادقة حين أكدت لي أنها لن تنسى كتاب الشعر لترسله لي مع أول قادم من باريس،

ووجدتني أسأل متى تسافرين؟... قالت في الخامسة مساءً قلت هل تمانعين لو ودعتك على محطة القطار؟... قالت على العكس يسعدني ذلك أحس أننا سنصبح صديقتين...، كان ذلك كافياً أنا المرأة العاطفية الصادقة الحس أن أشعر بسعادة غامرة وأن أطلب من سائق السفارة أن يقلني لمحطة قطار «ايكسل» وهي محطة معروفة تنقل المسافرين من بروكسل إلى باريس. هناك في المحطة جلسنا ننتظر وصول القطار... وشربنا القهوة وجلست أتسلى معها أقرأ لها الفنجان... كنت أضحك من هذه الهواية التي تملكيني في ذلك الوقت بسبب مرافقتي في صباي لعمتي «العانس» التي كانت تستضيف قارئات الكف والفنجان بشكل دائم في بلدنا لتعرف هل سيأتي فارس الأحلام.

كانت هذه هي أول مرة لقيتها فيها وتعلق قلبي بنقائها وتواضعها، أحسست بحق أنني أمام امرأة حنون لا تملك حين تراها وتحادثها إلا أن تتعلق بها، وهكذا تعلقت بسعاد الصباح منذ ذلك التاريخ.

وبعد أن وصلني ديوانها بعد أسبوع بالتمام من وعدها الصادق في بروكسل، مازلت رغم مرور أكثر من أربعين عاماً أتعلق بها وأعرف منذ ذلك التاريخ أنها امرأة مميزة وصديقة وفية قل أن يوجد مثلاًها.

وعرفت بحسي الصحفي أنها كشاعرة سوف تشق طريقها إلى القمة لأن لها زوجاً يساندها ولا يزعجه بريقها كما نرى لدى الكثير من الأزواج. غببتها يومها نيابة عن كل نساء العرب المقهورات إذ تتمتع بحرية أن تكتب ما تشاء وتحقق طموحاتها الأدبية، دون أن يكون رفيق الدرب عائقاً لذلك بل كان فخوراً بها. كما أنني اكتشفت بعد ذلك بسنوات حين قدمت إلى الكويت

لأواصل مشوار الكفاح مع زوجي، إن هذا الزوج الكبير المكانة كان الدرع والسند والدافع الذي احتضن طموحات هذه الكويتية المميزة، والذي أطلق لابداعاتها ونجاحاتها العنان رحمه الله رحمة واسعة.

لقد كان بحق كبيراً وعظيماً واستحق من زوجته كل هذا الحب وهذا الوفاء والاخلاص وهذا الشعر الجميل الذي أنشدته في حبه ومآثره، والذي لا يخلو ديوان شعر لها من دواوينها الأربعة عشر إلا وجاء ذكره بقصيدة أو أكثر وكذلك مقالاتها وأحاديثها الصحفية طوال مسيرتها ورسائلها إليه حتى بعد رحيله.



الجدور

❖ «الطفولة تترك دائماً بصماتها على أجسادنا وأرواحنا، فالبيت الأبوي الذي نشأت فيه كان حديقة من الحب والحنان والرحمة، فأبي كان معلمي الأول وصديقي وكان يساعدي دائماً في تنمية ثقافتي، ويحمل لي يومياً تحت بشته «عباءته» آخر الكتب والمجلات، وأمي علمتني أن أكون سيده نفسي، وأن أكون مسؤولة عن إدارة البيت منذ كنت في العاشرة من عمري، كان بيت الطفولة عشاً من أعشاش المحبة، فلا اضطهاد ولا خوف ولا إرهاب... كل شيء في بيتنا كان يجري وفق الأصول الديمقراطية... وهكذا نشأت بلا عقد ولا تشوهات نفسية، وتعلمت تحت السقف الأبوي كيف أحب العالم وأكون صديقة للإنسان!»

سعاد الصباح

من حديث صحفي لمفيد فوزي

نشر في مجلة «كل الناس» القاهرية

❖ «كانت طفولتي لوحة مائتة مرسومة بالأخضر والأزرق والوردي وهي محطة الفرحة الحقيقي، ولم تعرف ألوانها فيها اللون الأسود»

سعاد الصباح

من حديث صحفي لحمدية خلف

نشر في كل من جريدة الوطن ومجلة سمره



ملاحم بالغة التأثير

لا يمكن فصل الانسان عن ظروفه وبيئته والأشخاص المؤثرين في ابداعه ومسيرته، لذلك كان لابد أن نطل على كل ذلك في بداية هذه الرحلة.

هي الابنة البكر لوالدها الشيخ محمد الصباح الذي حمل اسم جده الشيخ محمد الصباح حاكم الكويت من عام 1892 حتى عام 1896، والذي كان على حد تعبيرها «الوالد» في اهداء احدي مؤلفاتها الاقتصادية إليه «الشجرة العالية التي قطفت منها أول أزهار الحنان وأول ثمار الثقافة».



تقف في شموخ أمام صور الأب والزوج
والجد مؤسس دولة الكويت مبارك الكبير

ولدت سعاد في 22 مايو سنة 1942 في البصرة حيث كان الوالد وإخوته الأربعة يقيمون في قصر كبير بالزبير في ذلك الوقت بعد مغادرة الوطن «الكويت» لأسباب عائلية. كان الإخوة الخمسة يداً واحدة وقلبا واحداً، وهكذا رُضعت سعاد منذ طفولتها مع حليب الثدي تكاتف وتعاضد الأرحام، وتعلمت أول ما تعلمت كيف يكون الأخ سناً لأخيه، فقد كان أكبر أعمامها الشيخ عبدالله والشيخ سالم والشيخ محمد والدهما والشيخ جراح والشيخ فاضل «حسب ترتيب أعمارهم رحمهم الله» إخوة بمعنى الكلمة. دينهم التراحم والتعاطف،



سعاد طفلة في الشهر السادس

ومحبة الناس والوطن تسكن القلب والوجدان مثل أبيهم جدها . لم يرها الجد الشيخ صباح المحمد الصباح، فقد توفى قبل ولادتها كما روت لي ماما حسنة مربيتها، وكانت عزيزة وغالية عند جدتها لأبيها ماضي الجراح الصباح، التي كانت تحبها كنور عينيها. ومن هذه الجدة الحكيمة والكريمة الأصل تعلمت سعاد كيف تكون المروءة في أسمى درجاتها ...

أما أمها شيخة احمد الثاقب وهي سليلة أسرة كريمة من حكام الزبير، فقد كانت سيدة فاضلة أحبها الجميع وأعزها الزوج والإخوة وزوجاتهم، ورثت عنها سعاد التواضع وطيبة القلب والعطف على البسطاء والضعفاء وحبها للثقافة، تقول عن طفولتها حين سألت: هل عانيت حتى تكون قصائدك هي صوت المرأة ومعاناتها؟ أجابت: «أنا لم أعان من شيء كهذا لا في صغري ولا في شبابي ولا في زواجي، لم أعان من ازدواجية في أسرتي، كما لم أعان من ظلم الرجل أو قمعه أو نرجسيته... أبي كان صديقي وهو الذي علمني القراءة وجلب لي الكتب وكان دائرة الضوء في حياتي، وأمي أيضا كانت قارئة جيدة أفادتني كثيرا في قراءتها سواء للكتب أو المجلات، كانت تقرأ كتب جورجي زيدان خاصة، وكنت منذ تفتحت عيني أجد الكتب والمجلات أمامي، سواء في ديوان أبي ومكتبته أم لدى والدتي، ولذلك كنت أمضي أغلب أوقاتي معها «الكتب» وكان ذلك متعة كبيرة في تلك الأيام، ولا تزال هذه المتعة تلازمني حتى الآن، وأحمد الله أنني منذ ذلك الزمن الباكر عشت في عائلة مثقفة ومرتزة كانت أمي غاية في العقل والحنان ...

وكان أبي واسع الأفق بعيد النظر، ولم تكن الأسرة التي تتكون من أمي

وأبي وأنا وأخي، لم تكن تفرق بين الذكر والأنثى... كانت معاملة أمي وأبي لي ولأخي واحدة، لذلك لم أكن أعاني من هذا الجانب، وكان أعمامي كذلك، كنا أسرة كبيرة نحب بعضنا البعض، أعمامي وزوجاتهم وأبنائهم يحبون بعضهم البعض... وكان يربطنا جميعا رباط من المحبة والإيثار كبير وعميق. كنا نحرص على أن نرتبط بتقاليدنا كأى أسرة كويتية محافظة لكن دون انغلاق.



صبية في السابعة عشر من العمر

عن مرابع طفولتها تقول الدكتورة سعاد في «حمامة السلام» ذلك المؤلف القيم والجميل الذي أصدره عنها الشاعر والكاتب علي المسعودي «كانت البصرة هي البساط الأخضر الذي التجئ إليه كما يلتجئ كل انسان لمراعى الطفولة... طفولتنا هي البحر الذي نسبح فيه، وعندما تفرقنا أمواج الحزن نحتمي بها». ثم تضيف عن هذه الذكريات وهل انمحت بعد الغزو الغادر لبلدها. تقول:

«ولدت في البصرة ولي فيها ذكريات وصديقات، وعلى أرض البصرة عبثت الريح بصفائري... على أرض البصرة اختلط اللون الأزرق باللون الأخضر... وتعانق التمر بأشجار النخيل، وما جرى لا يغير موقفي مع العراق... فالعراق يبقى بشعبه، بفضائله ومروءاته... النظام العراقي الغادر وليس العراق هو الذي ارتكب هذا الخطأ الفادح.

كيف بدأت قصتها مع الشعر؟

سئلت هذا السؤال في أغلب الأحاديث الصحفية التي أجريت معها وكان هذا الجواب في حديث للاستاذ الأديب يوسف القعيد قالت:

«كنت في الثانية عشرة من العمر، وخلال حصة الحساب، شعرت أنني بعيدة عن كل ما يقال ويكتب من أرقام، وأن في أعماقي كلاما آخر راح يتسرب إلى الورق، وقد لاحظت مدرستي انصرافي عما يدور، فأقبلت عليّ متمهلة، ثم سألتني ما الذي كتبه، وفي استحياء ناولتها الورقة الصغيرة، قرأتها، ثم

كانت دهشتي في أنها لم تؤنّبني على انصرافي عن مادتها، بل قالت لي: اهتمي بالكتابة، فلديك باكورة شعر. وهكذا كان».

ماما حسنة وإظلاله على عالم الطفولة

عرفت بعدما سألت الكثيرين ممن عاصروا طفولة الشاعرة أن مريبتها مازالت على قيد الحياة وأن هذه المرأة القريبة إلى قلب الشاعرة وقلب الأسرة العريقة قد رأت وسمعت وخبرت كل ما كان يدور في عالمها في سنوات الطفولة والصبا الباكر... لذلك ذهبت إليها حيث تقيم مع والدة الشيخ علي الجراح وزير الطاقة الآن، واستأذنت بالهاتف من ربة الدار. قادني الخادم إلى غرفتها حيث كانت تجلس على سريرها وجلست بجوارها. فوجئت بأنها ضريرة قلت: هل أزعجك ببعض الأسئلة والحديث عن الدكتورة سعاد الصباح، أحتاج إلى إجاباتك في كتاب أحاول أن يلم بحياتها قالت: الدكتورة سعاد والنعم ونعم النعم...

قلت: ماما حسنة الله يبارك فيك احكي لي عن طفولتها كيف كانت وماذا كانت تفعل؟ هل كانت شقية أم هادئة؟ علاقتها بأفراد أسرتها والدها والدتها؟ جدتها أم الشيخ محمد الجراح ماما موزي كما سمعت أنها تناديها؟ عاداتها صديقاتها، كيف كانت تمضي وقتها؟ وهل كانت تحب الاختلاط ألم تحدثك وأنت قريبة منها عن فارس أحلامها؟ ومن من المشهورين في ذلك الوقت الباكر كانت تحبه، هل كنت تحكين لها حكايات وهي صغيرة؟ كيف كانت ترى وطنها الكويت من هناك؟ وكيف كانت ترى الشعب العراقي؟ تدفقت الأسئلة وحاصرت

ماما حسنة فقالت «يالله كتي» بلهجتها الكويتية المحببة «أي اکتبي»:

«سعاد الله يطول عمرها تربت بعز ودلال وعاشت بين أهلها، أبوها - الله يرحمه - وأعمامها الأربعة... سعاد طول عُمرها غالية عند الجميع لكنها كانت عزيزة وغالية عند جدتها موضي الجراح الصباح أكثر... وكان الاخوان الخمسة أبوها وعمامها يسكنون معا في بيت كبير.. قصر بالزبير... أغلب آل الصباح الذين جاؤا للعراق كانوا بالزبير الشيخ خالد والشيخ فاضل والشيخ عذبي والشيخ صباح جد الدكتورة سعاد لوالدها كلهم بالزبير في منطقة الرشيدية، وهي منطقة راقية فيها الشيوخ والتجار والعائلات الكبيرة... حتى أخوالها «الثاقب» حكام في بلدهم كانوا في منطقة الرشيدية... تسترجع ماما حسنة ذكرياتها من خلال رفع رأسها لأعلى وتكمل حديثها: «بيتنا كان كبير كبير أربع حيشان حوش للطبخ وحوش للحيوان والديح وحوش للديوان الكبير الذي يلتقى فيه الشيوخ بالناس وكبار رجال العشائر والأصدقاء، وحوش للحرم لنا نحن الحریم، حریمنا وعيالنا بس الديوان بروحه كبير كبير... لو بالكويت اليوم يثمن بالملايين...»

في أيام الصيف لأن أبوها «الله يرحمه» وإعمامها عندهم أملاك بالبصرة أراض وبيوت ونخل وشجر، كنا نروح البصرة... من زمن أول كل الكويتيين عندهم أملاك وقصور ونخل في العراق، نخل وايد «كثير» ملك أبوها وأعمامها بالجنوب العراقي... نروح البصرة أيام الصيف لأن الزبير حارة، وهناك في البصرة الطراوة والنسيم والفاكهة أشكال وألوان والحدائق... إذا جاء الشتاء

نجئ للزبير... لأن البصرة في الشتاء فيها مطر وطين مثل مصر تماما...
 سعاد طول عمرها من صفرها حبوبة وطيبة، لا عندها طلعات ولا خرجات زي
 البنات، تخرج ويا أهلها وبس.. عاقلة جدا من صفرها، أمها - الله يرحمها -
 حبيبة طيبة قد ما تقولين زيادة عن اللزوم، علشان جدي الكل يحبونها الصغار
 والكبار... الزوج كان يقدرها وايد «كثير».

تشرب رشفة من كوب الماء ثم تستطرد: «سعاد تربت بالبيت الكبير كانت



مع شقيقها الوحيد الشيخ محمد الصباح

وفاة والدتها رحمة الله عليها مؤثرة علينا كلنا، وعليها أكثر، بالطبع عرفت الحزن يوم توفى الشيخ محمد والدها... زاد حزنها بعد فقد الأم والأب. انجرح قلبها كثير أم مبارك الله يبرد قلبها... كانت بعد وفاة الأم تقيم شوية مع جدتها موزي الصباح وشوية مع خوالها... الجدة كانت شخصية لها مكانتها كانت تحب سعاد موت وتخاف عليها من الهواء الطاير ربتها وصانتها كحبة العين.

«سعاد تربت بعز وسخاء من أحسن ما يكون، وتدللت لكنها لم تتكبر وتغتر شأن كثير من البنات اللي كانوا في ظروفها، من صغرها كانت عاقلة وزكية «تقصد ذكية» ولم تكن شيطانة مثل غيرها من البنات، حباها الله هادية زيادة عن اللزوم... دايمًا في أيديها كتاب أو جنبها كتاب جنب السرير أو على الطاولة... والله يشهد لم تكن تعتمد على الشغالة أو تطلب منها أي مساعدة، مع أن في البيت خدم وحشم لكن هي من صغرها تعودت تعمل حاجتها بنفسها...، كانت عطوفة ولا تزال على الخدم لا تحب أن ترهقهم بمطالبها، لذلك كان الجميع يحبونها ويعرفون قيمتها».

العودة للكويت ما أجملها!

عدنا الكويت يا الله على فرحة الجميع بالعودة للكويت... خاصة سعاد... العودة للوطن ما أجملها خاصة عند شيوخنا... جاءت لوالد سعاد وإخوانه دعوة مباركة من الشيخ عبدالله السالم رحمة الله عليه، قال لهم تعالوا في بلدكم أحسن وقلوبنا مفتوحة لكم... كانت جدة سعاد موزي الجراح تصير

خالة الشيخ عبدالله السالم أخت أمه، لذلك لبوا النداء وعادوا للوطن اللي كانوا متلهفين على العودة إليه... ولأنهم تركوا أملاكهم في العراق كانوا يعودون في الصيف إلى البصرة مع أولادهم ليشرّفوا على حلالهم... وأذكر سعاد كانت وايد⁽¹⁾ مستانسه وهي رايحة الكويت... مين ما يفرح لما يعود لدياره.



مع الزوج والأبناء محمد ومبارك الثاني وأمنية وشيماء محمولة على الصدر الحنون

أبو الدكتور الشيوخ محمد الصباح كان كريماً يفيض كرماً... وأنيباً يحب الأنا، لم أراه وحيداً أبداً إنما دائماً حوله كبار الرجال ورؤساء العشائر وزوار من الأديباء والعظماء العراقيين والعرب... وكان ديوانه عامراً «ما يخلو أبداً»... ويأتي أصحاب الحاجة فلا يرد لهم سؤالاً، والدكتور ورث عنه هذا الكرم وهذه الخصلة... والنعم بالشيوخ محمد لو قعدت وياه ما تقومين، رحوم كريم لذلك كان يحبه الناس في أي مكان يكون سواء في البصرة أو في الكويت أو في الزبير، كان معروفاً عنه أنه يرحم الفقير ومتواضع، عنده الفقير أحسن من الغني لأن نفسه كريمة ودايماً الكريم يكون جدي «هكذا» وأما رحمة الله عليها كانت كريمة ومن أسرة كريمة، وآل الثاجب معروفين شيوخ في بلدهم وأهل خير وغنى وأجاويد ولا عليهم قاصر أبداً... أقولك كل هالحكي بصدق وضمير... أنا ما أعرف أزوق الكلام.

❖ من صديقاتها في ذلك الزمن الباكر يا ماما حسنة؟

أجابت: «ما اذكر أسماء لكن أعرف إن خالاتها كانوا كأنهم إخوانها صديقات الروح وفيقة وإقبال ونجلاء هي تربت معاهم وامضت وقت كبير من طفولتها وصباها بينهم لذلك كان طبيعي يكونوا الأقرب ليها... كانت سعاد من طفولتها معروفة بأنها أم الكرم والجود... سعاد أم مبارك «محفوظ لها عند الله» تعطي لوجه الله مش للانسان، لذلك هي تستاهل كل ما وصلت إليه... تستاهل الخير لأنها بنت خير وتعرف معناه، وأنا أعرف أهلها ولأنها من بيت كريم الله سبحانه وتعالى يعطيها دوم علم وغنى، وهي عرفت معنى عطاء الله وتتفقه في الخير وفي مكانه، لذلك



أثناء دراستها في جامعة القاهرة مع فريق الكرة الطائرة

تناسب صياها مثل: «كعبة محنى وكفة محنى والوردال في خده محنى...
«تضحك مسرورة»

«شوفي يا بنيتي كل ما قلت من كلام طيب عن سعاد أنا مقصرة لا
تفكري إن دي مجرد كلام، هذا حقيقي وانتي جيتي تسجلي الحقيقة،
إحنا ما نزوق الحقيقة خصوصا إذا كانت جميلة وعن واحدة تستحق مثل
الدكتورة... الخلاصة سعاد مثل العسل في الماي البارد أعرفها من ولادتها
لكبرها، ما حد شكى منها أبد لا بشين ولا زين، قلبها نظيف أهم شيء لا
تعرف اللف ولا الدوران هذي هي سعاد».

❖ وماذا عن فارس الأحلام الم تكن تحدثك عنه في تلك الفترة الحاملة من

ما سمعتها تتحدث عن فارس الاحلام. سعاد معروفة بحيائها واستقامتها من عمرها، ما على بالها الراجل ولا الفارس ربما كانت تفكر في ذلك لكن حياءها يمنعها ان تفكر بصوت أسمعها مع أنها تقول لي كل شيء يخطر على بالها... لكنها بنت أصل وبنات الأصول لا يصرحون أشكراً بذلك «علنا» كانت ما تقول أبدا آخذ هذا ولا ذاك وحتى وهي كانت في سن صغير... لم تقعد في بيت أهلها كثير خطبها الشيخ وهي بعد ياهلة «تقصد طفلة».

❖ هل كانت تعرفه أو تسمع عنه وهو ابن عمها؟ أقصد الشيخ عبد الله؟

كانت تسمع عنه لكن لم تكن هناك صلة في ذلك الوقت بين أسرتها والزوج مع أنه ابن عمها. كانت هناك ظروف أدت إلى قطيعة بين أسرتها وأسرة الشيخ رحمة الله عليه «تقصد الزوج» لكن مع القسمة والنصيب وأعتقد أن زواجها من ابن عمها لم يخطر ببالها أبدا... هو حين رأى صورتها وعرف أنها ابنة عمه من اسمها أحبها وسعى إليها وقال: أنا أحق بيها «ذكر الشيخ عبد الله وذكرت د. سعاد في كثير من أحاديثهما الصحفية هذه القصة، فقد كان رحمه الله مسؤولاً عن وزارة التربية التي كانت تسمى وزارة المعارف وكان عليه توقيع استمارة امتحان طلاب وطالبات الكويت في الشهادة الاعدادية ورأى صورتها وعرف من اسمها أنها ابنة عمه، وقال: هذه لي وأنا أحق بها من أي انسان... وكان الزواج»

تضيف ماما حسنة.. «سعاد من طفولتها لصباها لزواجها للحين الكل يحبها. أعمام يحبونها وحریمهم والكنائين والعالم كله يحبها... هي فيها أشياء كثيرة تحبب الناس فيها يكفي تواضعها وعقلها.

لما توفيت أمها في الكويت بقيت مع أبوها وخالاتها وجدتها أم أمها تجي وتروح من البصرة وهي باقية عشان املاكها ... في بيت أبوها في «مصده» بالكويت بالقرب من المرقاب كانت تعيش وبجوارها بيوت أعمامها . عاشت في عز ودلال طول عمرها، لكنها لم تعرف الكبر يوماً أو لحظة وهناك مقولة شهيرة للشيخ أحمد الجابر أمير الكويت في الماضي وهو ابن عم موضي الجراح جدة سعاد، كان الشيخ أحمد رحمة الله عليه يقول: «ما يعلى إلا الدخان وما تكبر إلا الزيالة، الأصيل ما يتكبر».



زوجة العم أم سعود

وملامح من تكوين الشاعرة النفسي والإنساني!

في الشامية قصدت بيت سيدة أخرى عاشت معها جانبا كبيرا من طفولتها وصباها في الرشيدية بالزبير وبعد ذلك في الكويت هي «أم سعود» زوجة عمها الشيخ فاضل المحمد الصباح، وقد علمت من إحدى صديقات الشاعرة أنها كانت قريبة منها، لأتعرف على ملامح تكوين سعاد الصباح كشاعرة وانسانة منذ بدايتها وحتى الآن.

قادني الخادم الى الصالون الكبير وسألني ماذا أشرب حتى تأتي ربة الدار... كنت قد عرفتها بنفسي على الهاتف وعن مهمتي التي أقوم بها في اعداد مؤلف عن الشاعرة الشيخة الدكتورة سعاد فرحبت بي وحددت لي موعداً قلت لحرم الشيخ فاضل وقد عرفتها فقد كانت من الموظفين على حضور ديوانية الدكتورة سعاد كما سيأتي ذكرها فيما بعد وقد سهل ذلك علي مهمتي:

❖ أم سعود احكي لي عن سعاد الصباح في بداياتها قبل أن تصبح أم مبارك والشاعرة سعاد الصباح... كيف كانت وعن علاقاتها بالآخرين وشخصيتها كل شيء... كل شيء وتأكدي أنني سأكون أمينة على ما تقولين دون زيارة أو نقصان قالت:

ماذا أقول... كانت طول عمرها راقية لا تتدخل ولا تفرض نفسها يمنعها
 حياة من أن تتدخل في شؤون غيرها... على عكس البنات في ذلك السن
 الباكر، ومن طفولتها لا تمنع مال عن محتاج... كانت توزع مصروفها اليومي
 على المحتاجين الذين تلقاهم... ولا ترفض إغاثة ملهوف... مرة كانت عائدة
 من المدرسة والدموع في عيونها، ولما سألتها عرفت أنها التقت بامرأة بائسة
 ومعها أطفالها وهم في حالة متدنية من البؤس والفقر فصحبتهم معها إلى
 المنزل وطلبت من الخادمة أن تطعمهم، ثم ذهبت إلى دارها لكي تحضر لهم
 مساعدة مادية... اذكر أنها ظلت فترة بعد ذلك واجمة وشاردة، كنت أحس بها
 وأعرف أنها متأثرة من حال هذه الأسرة... وكنت على ثقة بأنها لن تتركهم بعد
 ذلك بل ستوصي الوالدة بأن تساعدهم.

وتستطرد أم سعود: «لما تزوجت أبوسعود الشيخ فاضل الله يرحمه ويغمد
 روحه الجنة صرت وياهم... أبوها شري لنا بيت بالبصرة عشان الإخوة
 وعوايلهم يلتم شمهلم ويعيشوا مع بعض في الصيف كان الشيخ محمد أبو سعاد
 يروح البصرة ويرد على الرشيدية في الزبير وكنا لا نفترق لا في البصرة ولا
 في الرشيدية... ولما عدنا للكويت ورحت معاهم اشترى لنا بيوت في الكويت
 بجانب بعض... كلنا صف واحد في منطقة مصده... كان من عادة الأسر
 الكويتية الكبيرة إن الاخوة لا يفترقوا... سعاد في السن الصغيرة هذي كنت
 ألاحظ أن عقلها أكبر من عمرها... كانت لا تتكلم كثيرا لكن إذا تكلمت ما
 تقول إلا الكلام الزين... ماشا الله عليها كانت دايماً تجلس مع الشيخ محمد
 في ديوانه وتسمع كلام الكبار... كانت تحب هذي الجلسات وكان أبوها رحمة
 الله عليه يحبها حب كبير زيادة... كان عطوف على أولاد الغير فمابال بنيته

من صلبه وكان راقى ومتفتح يحب الشعر والأدب ويستقبل دوم شعراء و أدباء وجلساء من الناس ال عندهم ثقافة وفكر، وهي كانت مسموح لها أن تدش ديوانه مثلها مثل أخيها صباح... وكنت الاحظ انها تحرص على ذلك بعكس البنات في عمرها يحبون أشياء أخرى ويتلهون بأشياء مختلفة... لكن سعاد كانت من يومها غير شكل الله يحفظها دوم».

تستطرد أم سعود وكأنني لمست جانباً محبباً من ذكرياتها:

أيامنا السالفة مع الحمولة والكنائين كانت أيام لا تعوض... القلوب صافية والذبوس لو شك واحد من الاخوة الشيوخ يعور الباقيين... لذلك لما اصبحت سعاد شاعرة وقرئت لها قصيدة تقول فيها «أُنشَدْتُ مَعَهَا»

كل دبوس إذا أدمى بلادي

هو في قلبي أنا

ضحكت... شوي في انت ماشاء الله عارفه ايش قالت.

قلت: نعم بحكم المهنة.

قالت يعني لما سعاد تقول جدي «هكذا» على بلدها الكويت هي عارفة زين كيف حب الوطن وكيف كان الأهل يحبون بعضهم... احنا الكويتيين من عمرنا قلوبنا معلقة بالكويت وأهل الكويت حتى وإحنا بعيد... لا بالأخص لما الواحد يبعد عن الأهل وعن الوطن... المحبة تزيد

❖ هل كانت مفاجأة لك لما سمعت ان الدكتورة سعاد أصبحت شاعرة

إشلون (1) مفاجأة من عمرها وهي تكتب وتقول كلام مرتب، حتى في المدرسة في الابتدائي كانت المدرسات يثنون على كتاباتها... وأنا بقلبي كنت عارفة ان بنتنا حيكون لها شأن عظيم... من صغرها لها شأن بيننا محبة وتذليل واحترام.

وتضيف زوجة العم «أم سعود»:

ما توفي الشيخ محمد والد سعاد، البنت فعدت في بيتها بالكويت مع جدتها موضي الجراح الله يرحمها... تأثرت وايد ما الشيخ محمد توفي.

سعاد كانت صبية حلوة تخش القلب... كانوا يحكوا عنها إنها حلوة في كل مكان تروحه، باسم الله فارعه القوام والشعر الأسود والعيون تبارك الرحمن، علشان جدي تزوجت صغيرة... خطبها ابن عمها وصار العرس وحملت بمبارك الله يرحمه توفي بالطياره بين ايديها... يساعد قلبها ربي... كان حزنها كبير على ولدها وكنت خائفه عليها... الدنيا كلها سافرت لها مصر وراحو للشيخ يعزوه ورحنا كلنا لنكون معها في هذه الشدة... الله جبرها بال عندها محمد ومبارك وأمنييه وشيماء وما لها غير أخوها صباح وعوضها فيهم خير...

عيالها مثلها عيال خير ونعمة ودين... الله جبرها فيهم وجعل فيهم الموض عن كل شيء مُرّ وعن كل حزن... الله يخليهم لها ويخلي عيالهم آمين ويمنعها بالصحة وسط الأبناء والأحفاد، ثم تضيف: «من فضل الله إن أم مبارك عقلها كبير وإيمانها كبير والا كان الحزن جرفها بطريجه بس الحمد والشكر لله ربنا قوّاها وقدرت تحتل كل هذه الصدمات...»

❖ قلت: الله بيخفف على عباده...

ردت:

❖ كمان هي علمها وثقافتها غير... وهي مؤمنة وثابتة في دينها سبحان الله كانت في طفولتها وصباها تحب الفرح والوناسة ودوم تسمع للأغاني... وجدتها موزي الجراح عندها سعاد غير أي عيال، سعاد عندها تقعد وما تنزل... الواحد ما يصير طيب إلا إذا أخلاقه ونفسيته طيبة عسى الله يلبسها الصحة والعافية ثم تتذكر فجأة:

حتى لبسها في تلك الفترة وهي صبية لم يكن لبس طائش... كان لبس رزين ووقور وأنيق... سعاد من يومها أنيقة وبساطة وللحين... لما دشت مدارس البصرة كانت محبوبة من مدرساتها وشاطره وأبوها كان يعتز فيها كثير من زمن كان الآباء يتحدثون فقط عن أبنائهم الذكور... لكن الشيخ محمد ما كان عنده هذي السوالف.

وماذا عن صديقاتها من البنات في ذلك الوقت وملامهن؟ يعني صفات هؤلاء الصديقات؟

سعاد كان الأكل يحبها في المدرسة وكان لها صديقات أقربهن خالاتها كانوا في سن متقاربة معها... كانت لها صديقات ولاد عوايل تتكلم معاهم وتخرج أحيانا عن صمتها وهدهوثها... بس ما هي من البنات الشقييات... كانت مع بعضهن يتكلموا عن المجالات ال تبجي لأبوها من القاهرة والكتب وكنت استغرب في ذلك العمر هندي الاهتمامات... وكانت تحب الأغاني المصرية المنتشرة من الراديو في ذلك الحين... كان هو الوسيلة الوحيدة للترناسة، وكانت تشتري من المحلات كل شيء فاخر وحلو... لكنها لم تكن تبالغ أو مثل غيرها لديها حمى الشراء زي ما يقولون.

❖ وماذا عن الغناء العراقي هل كانت تسمعه؟

كان لا تروح البصرة مع أبوها عندها أرض اسمها الزين مقابل المحمرة «مدينة عراقية» مزرعة كبيرة «كبيرة» لنا كنا «تقصد الإخوة الصباح» فيها نخل وتمر، الناس في ذلك الزمان كانت تعيش على تجارة التمر، يجي الكويتيون للعراق ياخذوا التمور، وتمورالعراق معروفه ومشهورة على مستوى العالم، ويصدروها لأفريقيا، في مزرعتنا بالزين فاكهة متعددة الأشكال والألوان وكان فيها ماي جاري وترعه ونهر... جو ببيع يولد الكلام الحلو... كانت سعاد وصديقاتها يسبحون في الماي الجاري بالزرعة مثل «البيسين»، وكانت أيضا تصادق وتود بنات الفلاحين يلعبون معها ويونسونها ويعنون لها أغاني عراقية جميلة.

❖ علاقتها بعمها زوجك رحمة الله عليه؟

عمها يحبها ما يدري وين يحطها، كانت تحضر ديوانية أبوها وهي ياهل «طفلة» وعمها كان يحضر ويذكر لي كيف كانت متربية وعندها حياء تسمع

وتنصت، وقد أفادها ذلك كثيراً في حياتها حتى بعد ان تزوجت بابن عمها لم يتغير عليها شيء في هذا الجو... كان الشيخ يحضرها ديوانه... ويترك لها حرية التصرف في كل شيء، لأنها من يومها بنت عز وواخذه على العز ولا شيء جديد عليها، ومن يومها تعطي ما عندها للناس، هي تعتبر مالها ال اعطاها إياه خالقها علشان توصله للناس... صحيح فيه ناس ربنا يختارهم يوصلوا نعمته لخلقه وسعاد واحدة من هؤلاء... لا تعرف يمينها ما تصنع شمالها، طول عمرها سواء في بيت أبوها أو بيت جدتها أو بيتها في السرة مالها مولها وحدها ولا لعيالها وحدهم مالها للمحتاج والقريب والبعيد.

وتستطرد أم سعود فشريط الذكريات يدور ولا يتوقف: من عمرها سعاد الناس يعرفون عطفها وكرمها كان في رمضان الناس يقرعون الباب يسألونها القرقيعان، عمها فاضل كان يجيب لها من البصرة القرقيعان الزين بكميات وتقعده مع الخدم ترتبه وتفترقه على الصديقات وبالأخص الفقيرات، من عمرها تهتم بالفقراء وقلبها عطوف عليهم... ولذلك بارك الله لها في ثروتها وأولادها وإن شاء الله في صحتها، فهذه الابنة الفاضلة تستحق الدعاء باخلاص ومن القلب... فجأة تَدَكَّرْتُ أم سعود وقامت من مجلسها انتظري... عندي شريط بأغانيتها وهي صغيرة!

❖ فرحت: هذه الأميرة الشاعرة منذ طفولتها تغني مع الفقراء والفلاحين وحين كبرت غنت آلام الناس وأوجاع البشر على الورق... أَسْمِعِينِي يا أم سعود جزاك الله خير:

مع الأسف عادت مضيفتي الودودة دون الشريط... تذكرت أنها تركته في

القاهرة ضمن ما لديها من مقتنيات تعزز بها وتغلق عليها الخزانة، وأسألها
ماذا كانت تغني؟

كل الأغاني المصرية التي تأتينا في ذلك الوقت من إذاعة صوت العرب، هذه
الإذاعة كانت لنا كل شيء في الأخبار والثقافة والفن والطرب، سعاد كانت
أكثرنا مواظبة على سماعها في أوقات فراغها، وكانت تردد دائماً أغانيها...
والشريط الموجود عندي فيه كثير من أغانيها لليلى مراد وشادية وغيرها في
ذلك الوقت، لما أروح القاهرة أعملك نسخة.

قلت ياريت... أضفت: وكعبه محنى وكفه محنى والورد ال في خده

قالت أم سعود: كيف عرفت؟ قلت العصفورة قالت لي عصفورة مخصصة
اسمها ماما حسنة

ضحكت أم سعود من قلبها الطيب

❖ قلت: هل لديك حكاية ترويها لي أضفها لفصول كتابي يكون لها مغزى
قالت:

سمعي: قلت كلي أذان.

أنا حدثتك عن عملها الخير للفقراء وللآخرين اللي ما تعرفهم تمد لهم
أيدها ومالها. ليش ما تسألني عن الأقارب؟

قالت عشان تعريفي كماله الحكاية، هي حتى الأقارب ما تقصر معهم ولازم
بيتعرف دورها...

سعاد عاشت يتيمة أم وأب وتاليها يتمها عن جدتها التي تعلقت بها سعاد وتعلقت الجدة بالحفيدة... لذلك كان عطفها وحنانها على اليتامى كبير، هي لا تدخر شيئاً لمساعدة الأهل إذا رأت أن فيه شيء قاصر عندهم، أنا مثلاً الحمد لله مستورة وفضل الله كبير، لكنها لا تدخر شيئاً لتساعد... لما مرضت بعيني ما عندي الا سعاد وميمونة العذبي الله يخليهم هم معاي في الضراء قبل السراء وأضاف: سعاد مغطية على الكل عسى الله يخلي لها عيالها ويحوش عنها المرض... آمين

هل تريدن المزيد؟ قولي على لساني وأنا زوجة عمها وأحبها مثل عيوني إنها انسانة جديرة بالنعم اللي اعطاها الله لها وبالشهرة والمجد الذي يحيط بها... سعاد انسانة وكفي أن يكون هذا هو اسمها الذي يصفها به الجميع... ولذلك أنا أقول ثروتها الأولى ليس شعرها أو غناها ومالها وحلالها ثروتها اخلاقها الزينة وانسانيتها وعيالها الطيبين... اكتبني على لساني.

❖ اعرف يا سيدتي هذه الخلاصة توصلت لها منذ سنين، لكنني اسجلها للجيل القادم وللتاريخ عنك لأن شهادتي مجروحة

تعقب: اي نَعَم الناس تظلم في ها السوائف وتضيف زوجة العم الودودة:

شيء آخر تذكرته علاقتها بعمها تجلت باسمى معانيها، لما مرض عمها الشيخ فاضل زوجي الله يرحمه، كنا بالعريش لما عرفت قالت آجيلكم، قلت لها لا تيجي. لكنها لم تنتظر أن يخبرها أحد بحالته كانت وقتها بسويسرا وما هي إلا ساعات حتى جاءت برفقة الشيخ لترى عمها وتطمئن بنفسها على حالته، وأخذته معها إلى لندن للعلاج والشيخ الله يغمد روحه الجنة تقصد

زوج الدكتورة سعاد كان نشمي وشهم. لم ينتظر حتى يرتاح وحملوه الى لندن وهناك سعدت روحه إلى بارئها... كان ذلك بعد الغزو مباشرة تأثر الله برحمه ولم يتحمل الخبر وسقط مريضاً.

❖ اذكريا سيدتي جيداً كم تأثرت الدكتورة سعاد بذلك وفي حديث صحفي لها كتبت تقول وكان ذلك وقت الغزو العراقي للكويت: «يوم مات عمي بعد أن سمع نبأ الغزو، كانت الثالثة صباحاً، والجنّة هامة ساكنة أمامي مغطاة على السرير بملاء بيضاء، عشت الكارثة بكل أبعادها، اجتياح وطن وفقد عزيز هو بمثابة والدي، أين أذهب بالجنّة وهو الذي حلفني بكل المقدسات أن يدفن في الكويت.

وقفت أصلي في الفجر تشاركني دموعي، دموع حارة موجعة، لا أملك مهما وصفت لك طعم مرارتها، ساعات مريرة وأنا أنتظر في المستشفى حتى يطلع الصباح بكيت كثيراً في ذلك اليوم... بكيت فقد ابني، بكيت نكسة 67 إنكسارنا القومي، بكيت رحيل عبدالناصر، بكيت عندما شعرت أنه حتى القبور سرقوها ولا يعطوننا تأشيرة دخول إلى أرضنا لندفن موتانا».

الحب الكبير الأول والأخير

❖ «دور زوجي وأبي ومعلمي وحببيي عبدالله المبارك هو الدور الأول والأكبر والأعمق في حياتي، فقد رعاني وحماني وغمرني ببحر فروسيته ومروءاته، ولولا فكره الحرّ والليبرالي، ما أمكنني من أن أعرف من بحار المعرفة وأواصل رحلتي الثقافية، وأعتبر نفسي محظوظة به لأنه فارس أصيل ورجل نادر».

سعاد الصباح

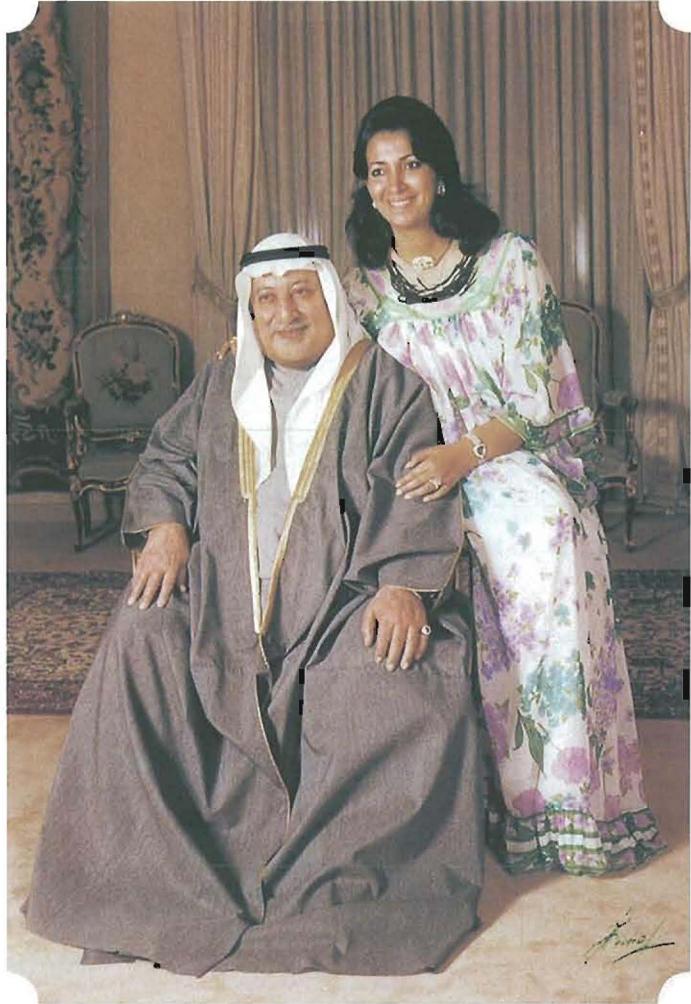




المغفور له الشيخ عبدالله المبارك
ترك رحيله جرحاً غائراً في قلبها

عبدالله المبارك الصباح الحب الكبير الباقي رغم الغياب!!

لما كان زوج الشاعرة ليس فقط شخصية استثنائية ومؤثرة في وطنها الكويت وفي عالمها العربي قاطبة، بل كانت له اليد الطولى والأثر الأكبر في اطلاق موهبة الشاعرة ودفعها إلى ملاعب الشمس على حد تعبيرها، ولولا شخصية



مع الزوج الشيخ عبدالله المبارك الحب الكبير الأول والأخير



الحب الكبير الأول والأخير معه في مكتبه بالقصر الأبيض

هذا الزوج وفكره وتطلعه إلى آفاق العصر والعلم لما كانت سعاد الصباح تحظى بكل هذه الشهرة وهذا التألق.

ألم تقل له

أيها القديس الذي علمني

أبجدية الحب

من الألف إلى الياء

ورسمني كقوس قزح

بين الأرض والسماء

وعلمني لغة الشجر ولغة المطر

ولغة البحر الزرقاء

أحبك أحبك أحبك

لذلك كان من الضروري بحكم ثقله الاجتماعي والفكري في بلده، وبحكم ثقله الحضاري وتأثيره في مسيرة شاعرتنا أن نفردها له فصلا مستقلا.

ولد الشيخ عبدالله المبارك الصباح كما ذكر الشيخ أحمد الجابر في 23 أغسطس من عام 1914 وهو الابن الأصغر لمؤسس دولة الكويت مبارك الكبير وأطول أبنائه عمرا. وعندما توفى والده مؤسس دولة الكويت كان عمره قد تجاوز العام بقليل كما روت الشبيخة موزي الجراح لحفيدتها الدكتورة سعاد وهي بعد صغيرة «ذكرت ذلك الشاعرة الزوجة في كتابها عنه «صقر الخليج» وله خمسة إخوة هم جابر وسالم وفهد وحمد وناصر غير عدد من الشقيقات، ووالده الشيخ مبارك الشهير «مبارك الكبير» كان شقيقا للشيخ محمد والشيخ جراح ومحمد كان جد الشاعرة لوالدها الذي حكم الكويت قبل مبارك الكبير «حكم من 1892 - 1896» وقد اتسمت طفولته بجو البادية وتقاليدها وتركت هذه النشأة آثارها على خلقه وطباعه. وقد التحق بأحد الكتاتيب لفترة، ثم انضم إلى صفوف المدرسة المباركية، لكنه شأن غيره من أبناء الكويت في ذلك الوقت سرعان ما بدأ حياته العملية مبكرا، ففي الثانية عشرة من عمره، عهد إليه بمهمة المشاركة في حراسة السور، والمعروف أن السور بني ليحميها

من غارات المعتدين. المهم كما تذكر الدكتورة سعاد في المصدر نفسه «صقر الخليج»: كانت حراسة السور من أهم المراكز التي يمكن لصبي في عمر الشيخ عبدالله أن يتولاها، وكان مسؤولاً عن حراسة بوابة دروازة الشامية، ويرجع تكليفه في هذه السن الباكرة إلى ما تمتع به من شخصية محبوبة وقوية» بعد ذلك عمل مساعداً للشيخ علي الخليفة كحاكم لمدينة الكويت ومديراً لدائرة الأمن العام، وتولى مسؤولية مكافحة أعمال التهريب والإشراف على بادية



في قاعة الاستقبال بالقصر الأبيض وخلفها صورة أحب الناس بملابسه العسكرية



مع الزوج والمعلم والحبیب والأبناء أمینة ومحمد ومبارک الثانی تحمله فی حنان

الکویت، ثم أصبح مديراً للأمن العام 1942 وإليه يرجع الفضل فی تأسيس إدارة الجوازات والسفر عام 1949.

فی عهد الشیخ عبداللہ السالم قام بمهمة نائب الحاكم وامتد نشاطه إلى العديد من المجالات فأسس إذاعة الكويت عام 1952، ونادي الطيران ومدرسة الطيران عام 1953، ودائرة الطيران المدني عام 1956، وكان الرئيس الفخري للنادي الثقافي القومي الذي أسسه أدياء ومفکرو الكويت فی ذلك الوقت. كما ترأس مجلس المعارف لأكثر من فترة وقام بدمج دائرتي الشرطة والأمن العام فی دائرة واحدة تحت رئاسته عام 1959، ثم وضع اللبنة الأساسية فی بناء القوات المسلحة الكويتية بعد تعيينه قائدا عاما للجيش عام 1954، وعمل على تزويد الجيش الكويتي بالأسلحة الحديثة والتدريب المتقدم.

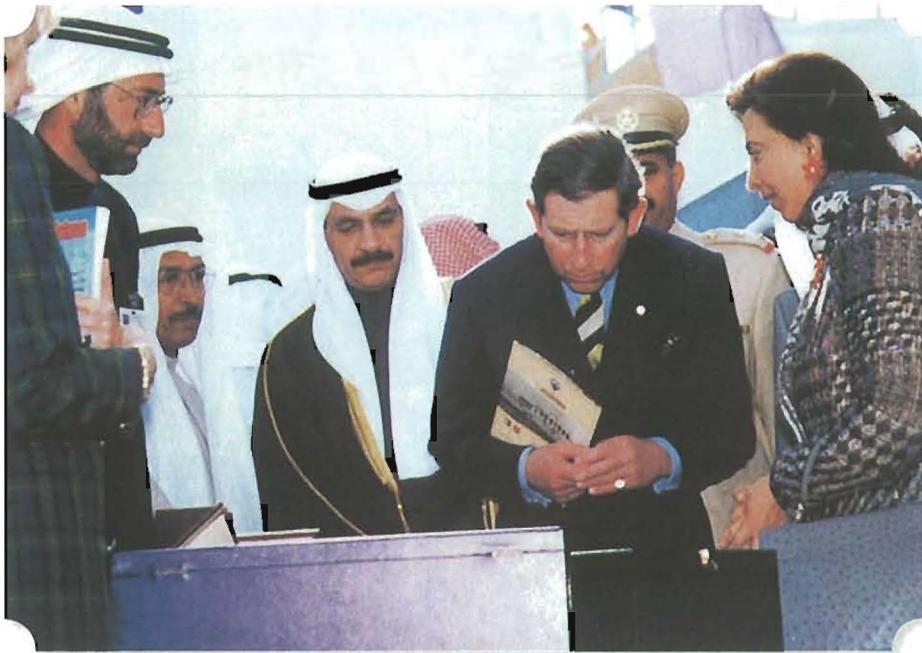


الرئيس جمال عبدالناصر يستقبل الشيخ عبدالله المبارك وحرمة ونجلهما الصغير مبارك الأول

دوره العربي الكبير

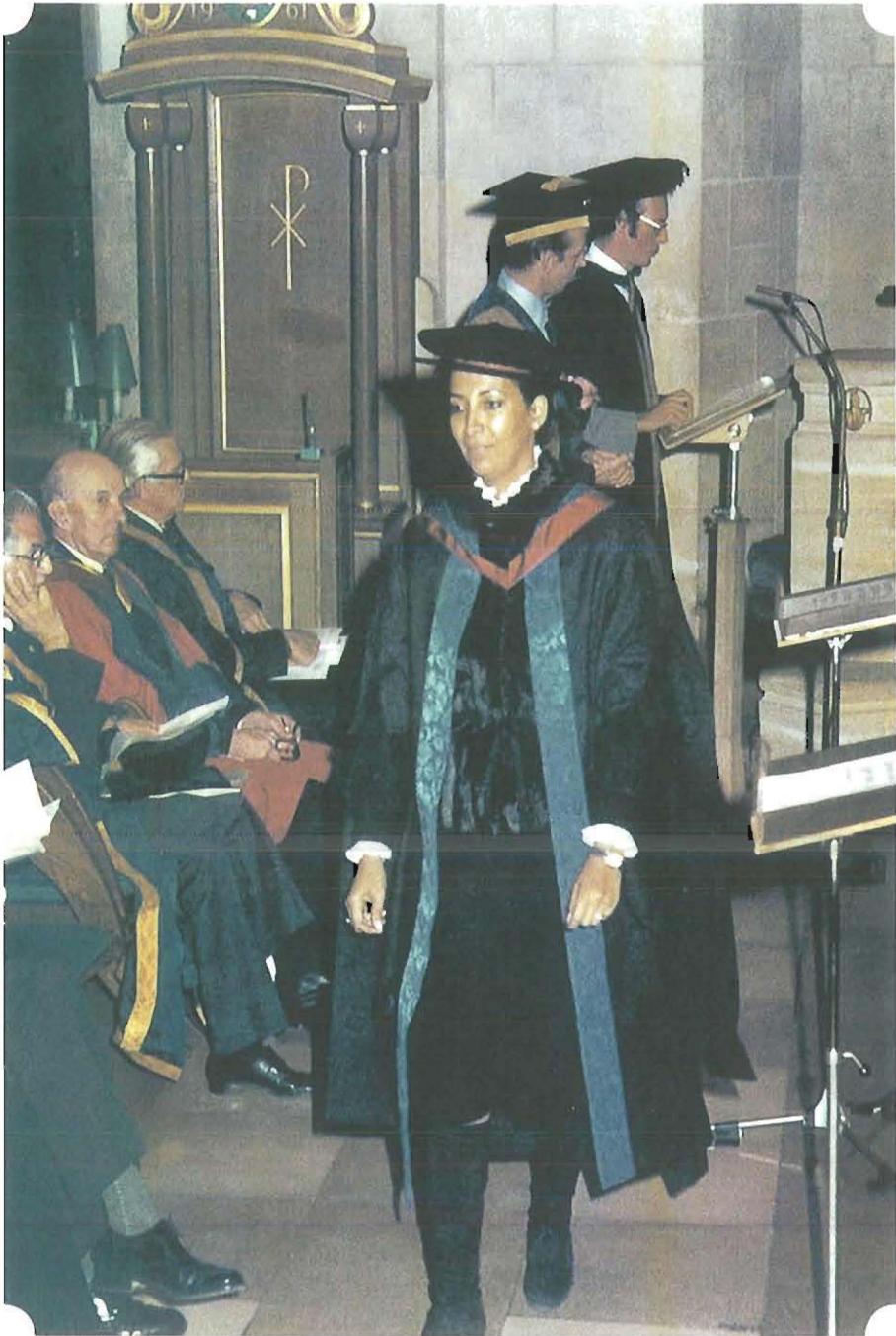
أما دوره العربي والقومي فكان بارزا فقد قام بإلغاء تأشيرات الدخول للكويت بالنسبة للعرب رغم معارضة الوكيل السياسي البريطاني ودعا عام 1958 إلى انضمام الكويت إلى الجامعة العربية، كما وقف إلى جانب مصر وزعيمها جمال عبدالناصر وأيده حين أمم قناة السويس، وسانده ودعمه ماديا وأديبا حين حدث العدوان الثلاثي عليها عام 1956، والعدوان الاسرائيلي على مصر وسوريا عام 1967 المعروف باسم «النكسة».

دخل في أكثر من مواجهة مع السلطات الانجليزية التي كان لها نفوذ واسع في منطقة الخليج في تلك الحقبة، بسبب حرصه على استقلال الكويت وإصراره على عدم تدخل لندن في الشؤون الداخلية لها، وقد كانت انجلترا لا



مع ولي عهد بريطانيا الأمير تشارلز الذي تقاسمت معه الرئاسة الفخرية لجمعية الصداقة البريطانية الكويتية ويجواره الشيخ سعود ناصر الصباح في أحد احتفالات الجمعية، تخفي انزعاجها من ميوله القومية ووقوفه بصلافة إلى جانب الحق العربي، وقد كشفت عن هذا الانزعاج الكثير من الوثائق البريطانية التي أفرجت عنها إنجلترا أخيراً.

في أبريل 1961 قدم استقالته من كل مناصبه وقرر عدم الاستمرار في الحياة السياسية وإن لم يستقل أو يبعد عن انتمائه واهتمامه بقضايا وطنه الكويت ومحيطه العربي، وظل حتى وهو في الظل محط أنظار ساسة العالم العربي وقريبا من الزعماء في لبنان ومصر وسوريا ومناصرا للثوار والمناضلين في الجزائر، وشتى أرجاء الوطن العربي يلجأون إليه للتشاور والدعم والمساندة، ولا أحد ينسى دوره في دعم حرب رمضان أو أكتوبر عام 1973 ومساندته المادية لمصر وسوريا.



في حفل تخرجها بالروب الجامعي من جامعة ساري جلفورد

كانت هذه الرحلة في تاريخ الرجل الحافل بالمهام والمسؤوليات والإنجازات والمرور على هويته كإحدى الشخصيات الكويتية المعروفة ضرورة حتمية للدخول في عالم عبدالله المبارك الزوج الانسان، حتى نتفهم كيف لهذا الفارس البدوي النخوة والمروءة والنشأة أن يتفهم ليس فقط عصره بل مستقبل هذا الوطن ويعرف بسليقته «ذكائه» البدوية أن المرأة العربية هي الجناح الآخر الذي لا يستطيع الوطن العربي أن يطير ويحلق في سماءات المجد والابداع بدونه. وأنه بحسه الواعي عرف أن ابنة عمه هي الأجدر بهذه المساندة منه ليكون نموذجا يحتذى في جيله.

وهكذا تفهم عبدالله المبارك سليل المجد والثروة بحسه الحضاري كيف أن زوجة مثل سعاد سيضيف إليها العلم والابداع الكثير من الغنى وأنها جديرة بالمساندة والمساعدة، وبذلك يتفهم الذين لا يريدون أن يفهموا كل هذا العشق وهذا الحزن وهذا الوفاء النادر والاخلاص الكبير للزوج الكبير... وهذه الكتب التي تصدرها سعاد وفاء له وتسجيلا لدوره الوطني وهذه الأشعار التي تفيض عشقا وتقديرا وحباً للزوج وابن العم. عن دوره تقول في إحدى لقاءاتها الصحفية مع الكاتب والصحفي المصري مفيد فوزي:

«هذا الرجل العظيم سار معي كل هذا الطريق الطويل وكان فخوراً بأنني أتعلم. وقف إلى جانبي بعد زواجي منه عام 1960 حتى حصلت على الثانوية العامة، ثم سهر معي الليالي في مصر حتى حصلت على بكالوريوس الاقتصاد والعلوم السياسية، ثم رعاني وسافر معي وسهر بجانبي في صقيع لندن حتى حصلت على الماجستير من جامعة ساري جلفورد بلندن والدكتوراه من الجامعة نفسها.



مع الرئيس نبيه بري في افتتاح جناح دارها بالمعرض الأول للكتاب في لبنان

في أغلب أحاديثها الصحفية سواء داخل الكويت أو خارجها يطيب للشاعرة العاشقة المحبة للزوج الكبير المقام أن تتحدث عن عبدالله المبارك الزوج «الانسان» «صقر الخليج» آخر السيوف العربية، وكلها اسماء أثيرة لدى الدكتورة سعاد عن رفيق الفكر والدرب والأمانى الشيخ عبدالله المبارك طيب الله ثراه.

ولذلك سأدون مقتطفات من أقوالها عنه لأن أقوالها شلال بحر جارف بصدقه ومشاعره لا يتسع له المجال... ولأنه لا يمكن لامرأة بوفاء سعاد الصباح وعشقها الجارف لهذا الزوج الانسان أن تفكر في أي يوم من الأيام بأن تستبدل حبه بأي حب آخر ومن هو الجدير بأن يحتل هذه المكانة وليس في قلبها ولا وجدانها أثر لإنسان غيره... حتى أنها حين سئلت عن أن هناك

شخصيات هامة تقدمت تطلب يدها... قالت: «لا يجزؤ أحد على ذلك» حتى تعرف كيف أن حبه يجري في دمه ويملك عليها ماضيها وحاضرها ومستقبلها رغم غيابه فلنقرأ ماذا تقول عنه:

«حين تزوجت ابن عمي وحيبي ومعلمي الشيخ عبدالله المبارك الصباح كنت صغيرة جدا في الأولى الثانوي. وجدت رجلا مثاليا، لا يمكنني أن أصفه، وقف إلى جانبي منذ اليوم الأول وتنازل عن امتيازاته التاريخية، ومعروف أنه رأس العائلة وعمّها جميعا. الشيخ عبدالله المبارك دفعني إلى ملاعب الشمس كي أعرف من الثقافة والعلم ولكي أزداد علما وفكرا... هذا الرجل العظيم سار معي كل هذا الطريق الطويل وكان فخورا بأنني أتعلم... وقف إلى جانبي من الثانوية العامة إلى البكالوريوس ثم الماجستير والدكتوراه، وكان هو سني والكتف الرحيم الذي أرتاح عليه عندما تعصف بي الرياح... وإذا كنت حققت شيئا في حياتي العملية أو الأدبية فالفضل الأول يعود إلى عبدالله المبارك الصباح، لأنه هو الذي أطلقني في فضاءات العلم والشعر والسياسة، وكان فخورا بمؤتمراتي وأمسياتي وكتبي ومقالاتي وأشعاري... لم يتلصص يوما على ما أكتب، ولم يضع الخطوط الحمراء على كتاباتي أو أفكاري، وإنما كان السند والدافع، ولا أخفي أنني أخذت كثيرا من أفكاري مما يقال في مجلسه العامر بالسياسة والأدباء وكبار رجالات الكويت والوطن العربي... هذا الرجل كان يستوعب العصر وكان مستقبليا، وعرف بذهنه وحسه المرهف أن من لا يستوعب العصر لن يستوعب المستقبل... وقد كانت وصيته الوحيدة لأولاده أن يستثمروا أنفسهم بالعلم والفكر وخدمة بلدهم، ولأن هذا الدور كبير وأحاطها بأشجار وارفة من الطمأنينة والتشجيع والمساندة فسنفرد له ولتاريخه فصلا خاصا يبين عمق هذا الأثر».

كانت هذه البيئة التي نمت وكبرت فيها شاعرة الكويت الكبيرة بكل من فيها وما فيها من بذور الحرية الفكرية والفكر الوطني والقومي هي الزاد الذي أثمر في نفس سعاد الصباح، والعشب الذي تحول بمطر الابداع والموهبة التي فطرها الله عليها هي الأساس الراسخ لكل ما أضافته الثقافة والعلم من ثمار... وكان حضورها الباكر في ديوانية والدها والتقاطها الواعي للفكر القومي والوطني الذي كان أصيلاً لديه «الوالد» فتح عيونها على مسؤولية كبيرة وحثها على مر عمرها.

ولولا هذه الحرية المسؤولة والواعية التي أدركتها سعاد في ذلك السن الباكر في مجتمع ذكوري كان من حظها أن أتيح لها أن تسمع وتقرأ وتستشق عيبرها في حوارات صادقة ومخلصة دارت في ديوان الأب العريق والنسب والفكر، وأم ليست ككل النساء وزوج عظيم الشأن والخلق، وجدت في كنفه زادها الفكري والنفسي، وارتوت بمطر الحرية والمسؤولية معاً في ركابه، لأن الحرية من دون مسؤولية فضاء بلا اتجاهات وخواء مطلق الفراغ. ولكن مع هذه الحرية لم يحدث أن سمعنا طوال هذا التاريخ وعلى مدى مسيرة الشاعرة وقد كانت ولا تزال - أمد الله في عمرها - امرأة جميلة ذات حسب ونسب تنتمي الى زوج عظيم الشأن دللها وعاملها بحضارة وحب كبيرين، ثم نسمع طوال هذه السنين خبراً واحداً عن إساءتها لهذه الحرية. أو خروجها عن القيم التي تربت عليها واشتهرت بها، ربما بدرجة تفوق شهرتها الكبيرة كشاعرة، وأسأل أي مواطن أو عربي أو مقيم ممن يعرفونها جيداً عن سعاد الصباح يقول لك الكبير والصغير «إنها امرأة فاضلة»..

وأذكر أنني في بداية حضوري للكويت مع أسرتي في الثمانينات وجدت شهرتها في المجتمع الكويتي كشاعرة في أوجها والأكثر شهرتها كامرأة فاضلة لها أياد بيضاء في شتى مجالات الخير والمروءة، في أول اتصال بيني وبينها «كان ذلك من جانبي بالطبع» لأرى ماذا حدث لنموذج نسائي يدخل القلب دون استئذان، وحتى أعرف ماذا أضاف الزمن لتلك الأميرة الجميلة ذات الحياء المحبب التي أهدتني في صقيع «بروكسل» ديوانا من الشعر عام 1963 أدفأت كلماته أمسيات الغربة الباردة.

وبالطبع حرصني على هذا اللقاء معها مهنتي. اتصلت بالقصر الأبيض فقيل لي أنها تشارك الشيخ ديوانيته فتركت للبدالة «عامل التلفون في القصر» رقمي واسمي وقلت لنفسني لن تذكرني وسيضيع الاتصال هباءً... ولم يمض وقت طويل حتى وجدت الصوت المحبب والرقيق على الهاتف يرحب بي في الكويت ويدعوني للزيارة...

بالطبع أسعدني تذكرها لي بعد هذا الزمن الطويل «خمسة عشر عاما» وحين التقينا صحبتني لأسلم على الزوج العزيز في مكتبه بالطابق الأسفل من القصر، وفوجئت أن لديه زواراً ومريدين كثيرين «شبه ديوانية» ودعانا الشيخ رحمه الله للجلوس فاستغربت ذلك، خاصة أنني بحسي الأنثوي والصحفي تبين لي من ترحيب الحضور بأمر مبارك كما كانوا ينادونها في ذلك الوقت، وكما تحب هي أن يناديها الناس بهذا اللقب الأقرب إلى قلبها، تبين لي أنهم معتادون على حضورها ديوانية الزوج العزيز واستغربت ذلك خاصة أنها مشارك رئيسي في الحوارات بعد كبير الديوانية، لكنها مشارك حُلُوق

لا يستعرض ولا يبرز نجوميته لأن في داخلها نجماً أوحده تربيع على عرش النجومية والمحبة في قلبها، هو الزوج الشيخ عبدالله المبارك، ويسعدنا أن نستمع الى آرائه وأن ترى بريق التقدير والمحبة في عيون زواره ومحبيه كما عرفت منها فيما بعد .

كان ذلك في وقت تحسب فيه حركات وسكنات المرأة في الكويت بميزان ذكوري متعنت . وكانت صفحات الجرائد والمجلات في ذلك التاريخ ترى في حضور المرأة وبروزها مهما كانت مواهبها وابداعاتها خروجاً على التقاليد وانتهاكاً لخصوصية المجتمع الكويتي، لكن القصر الأبيض بسيدته وسيدته كانا خارج دائرة التزمّت وخارج دائرة القهر وفي بؤرة دائرة الحضارة ونسيم العصر الذي وصلت فيه المرأة خارج حدود الوطن العربي إلى رئيسة وزراء «أنديرا غاندي في الهند» وبعد ذلك مارجريت تاتشر في إنجلترا .

حين عدت الى مكثبي في ذلك اليوم في جريدة الوطن التي كان رئيس تحريرها في ذلك الوقت الكاتب والمفكر الكويتي المحبوب الاستاذ محمد مساعد الصالح - أمد الله في عمره - ومدير تحريرها - رحمه الله - الاستاذ جاسم المطوع بخلقه الكريم وعلاقة المودة التي تربطه بالمحررين سألتني حين التقيت به وهو في طريقه إلى مكتبه وأنا أهم بدخول الجريدة، لماذا هذه البشاشة وهذا السرور البادي على وجهك هل هناك خبطة صحفية؟ قلت نعم أنا قادمة للتو من جلسة حوار راق ثقافياً قومي والأهم أن المرأة الكويتية فيه تتنفس الحرية بل وتشارك في صنع القرار قال أين؟ قلت: في القصر



في أمسية شعرية في النادي الثقافي بلندن

مع الشعراء نزار قباني وبلند الحيدري وعبدالله العذري ويوسف الخال

الأبيض... قال: دون استغراب أو دهشة هذا صحيح... كانت هذه بداية خيط طويل من المتابعة بحكم المهنة رأيت فيه بأم عيني كيف حازت هذه الكويتية العريقة القيم والأصل والجدور على حقها في الحرية والمساواة التي ولدنا الخالق بها مثل الرجل العربي ولكنها سلبت منا باسم التقاليد. لذلك غبظتها على هذا المناخ الثمين الذي يعادل كل كنوز الدنيا، والذي بغيره لا يستطيع اي انسان مهما أوتى من مواهب أن يكون شيئاً... يكفي فقط أن يفرض الأب أو الزوج حدوداً على ابداعها حتى تختنق... أو يتكدر كل هذا الحب الذي يربط بينها وبين الزوج الكبير المقام، والذي تكون كرامته اكثر حساسية عند المجتمع وتجاهه من مجرد اقترانها بزوج عادي حين تكتب. وحتى لا يكون الكلام من قبيل التعميم والتصور، أتاحت لي الظروف في موقف آخر أن أحصل بنفسني

على إجابة شافية لهذا الجانب، الذي تصورت أنه لا بد أنه يحدث وسيأتي سرد هذه الواقعة في حينها، حتى يعرف القارئ أن الرجل الكبير لا يزعجه أن تقف إلى جانبه امرأة كبيرة، بل أن عظمة هذا الرجل تكمن في محبته لأن تكون زوجته تطاول قامته.

إن لذلك معنى واحداً هو أن هذا الرجل انسان حضاري بكل معنى الكلمة، وأنه لم يترك الموروث والتقاليد البالية تحمل إليه الغبار والتلوث الفكري، غبار الأنانية والتسلط على نصفه الآخر، بل أورقت في نفسه حدائق المحبة والايثار، ولذلك لا أستغرب هذا الفيض من الشعر والرسائل ومجلدات الحنين والعشق التي سطرته سعاد الصباح ولا تزال تسطرها في هذا الرجل.

وأسخر من هؤلاء الغافلين الذين يفسرون كل شيء على هواهم، لأنهم لم يعرفوا معنى أن يكون الرجل واسع الأفق وأن تكون المرأة بالغة الوفاء... لا بد أن يطرح هذا التزاوج بين ايثار عبدالله المبارك وتقديره لحبيبته وزوجته وكل شيء له ومساندته التي لا تكل ولا تمل لها، وبين امرأة مرهفة دينها الوفاء ربيت عليه وتعلقت به ويعرف القريب والبعيد كيف هي وفيه لأبعد الناس قربا، فما بالك بحبيب القلب وروح الفؤاد الذي قالت فيه ضمن الكثير الذي قالت: «دور زوجي الشيخ عبدالله هو الدور الأول والأكبر والأعمق في حياتي، فقد رعاني وحماني، وغمرني ببحر من فروسيته ومروءته، ولولا فكره الحر والليبرالي لما تمكنت من أن أعرف من بحار المعرفة، وأواصل رحلتي الثقافية، إنني أعتبر نفسي محظوظة به... لأنه فارس أصيل... ورجل نادر في رجولته.»

كان الشيخ عبدالله المبارك هو وسادة الحب الكبير التي توضع عليها سعاد الصباح الانسانة والشاعرة والأم رأسها لتنام وتغفو وتحلم أحلامها الجميلة، لذلك حين قالت في ديوانها «في البدء كانت الأنثى»

أصرخ أحبك

فيتترك القمر بيته... وزوجته وأولاده

ويندس تحت شراشفي

«قصيدة القمر الهارب»

كانت تعنيه وتغازله وتعبّر من خلال قصائدها عن ولها بالرجل الوحيد الذي أحبت. تقول أيضا في الديوان نفسه.

أصرخ أحبك

فيستدير فمي

كخاتم الياقوت

كانت تتغنى بفروسية هذا الرجل وحبه ومساندته دوما.





في زيارة لأسوان مع حرم الرئيس عبدالناصر السيدة تحية

شاهد عيان

❖ كيف تشكل وعيها السياسي وكيف كان زوجها مؤثرا في حياتها؟

في حوار خاص مع الكاتب المعروف الاستاذ محمد خالد القطمة لجريدة الحدث الكويتية باعتباره كان قريبا من الزوج الشيخ عبدالله المبارك رحمه الله ومن رواد ديوانيته وأيضا لقربه ومعرفته بالأدبية الشاعرة حيث يعمل مديرا عاما لدار سعاد الصباح للنشر والتوزيع منذ تأسيسها عام 1991 وحتى الآن يقول:

«في اعتقادي أن سعاد الصباح دخلت عالم العروبة من خلال اللغة، وأدركت معنى العروبة الواعدة عبر مجلة «الرسالة» التي كان يصدرها الأستاذ أحمد



الرئيس المصري الراحل أنور السادات يستقبل د. سعاد في عرس إحدى كريماته

حسن الزيات، فقد كان والدها الشيخ محمد الصباح شديد التعلق بهذه المجلة التي كانت منبرا لجميع المثقفين والأدباء في جميع أنحاء العالم العربي وليس في مصر فقط. من هنا نمت بذور القومية العربية في نفسها، إضافة إلى ذلك - والحديث مازال للاستاذ خالد القطمة - عندما جاءت الى الكويت وأقامت في وطنها الأصلي، أدركت معنى الوطنية الكويتية، وفتح زواجها من الشيخ عبدالله المبارك الصباح نائب الأمير ووزير الدفاع وقائد الشرطة والأمن العام وكان ذلك عام 1960، فتح زواجها عينها على العمل السياسي، فالشيخ

عبدالله المبارك كان على علاقة وطيدة بالزعيم جمال عبدالناصر، وبزعماء سورية والمغرب والأردن ولبنان، وفي العراق كانت له صداقات قوية جدا، مما أعطى حياته السياسية عمقا عربيا. ولا شك أن الدكتورة سعاد تحسست ذلك وأدركته، حتى إذا ذهبت من لبنان إلى مصر للدراسة، أصبحت هذه الطالبة الجامعية على رأس الطلبة الناصريين.

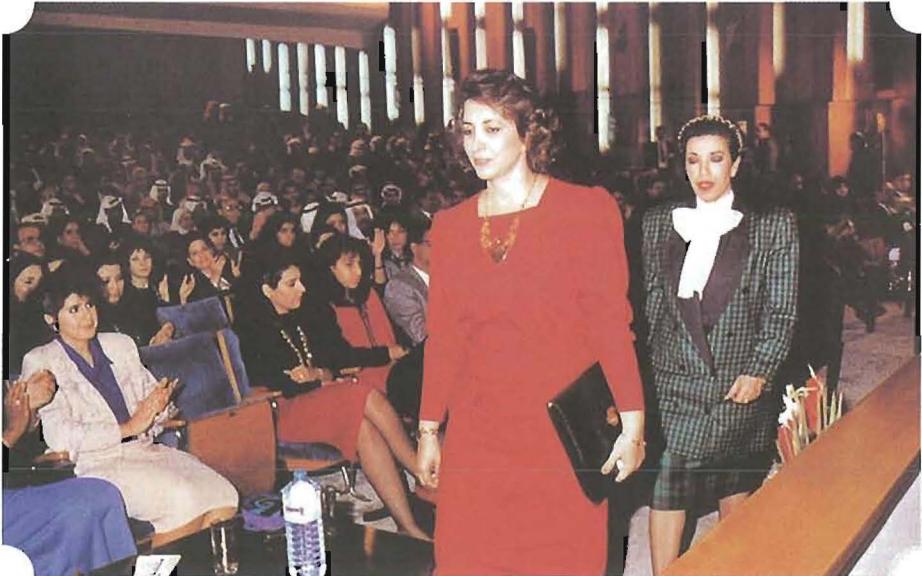
وعندما بُدئ جمع الأموال للمجهود الحربي كانت تمتلك سيارة كاديلاك لم يكن آنذاك لها مثيل في القاهرة، فطرحتها في المزاد وتبرعت بثمنها للمجهود الحربي. من هنا بدأ ارتباطها بقضية الوحدة والقومية العربية.

ولا أحسب أن شيئا قد تغير في مضامين فكرها، فهي لا تزال حتى اليوم قومية عربية وحدوية، وإن وجد من هو ناصري فهي ناصرية.»



في القصر الجمهوري مع الرئيس اللبناني إلياس الهراوي

أما عن أثر زوجها عبدالله المبارك في حياتها فيقول الاستاذ خالد: سعاد الصباح ولسانها أكدت مراراً أن الشيخ عبدالله المبارك كان له أكبر الأثر في حياتها، فقد كان هذا الشيخ الكويتي قومياً عربياً وهي مسألة مهمة بالنسبة لشيخ في مثل موقعه ومثل أهميته السياسية، وكان هو الرجل الذي طرح شعار «الكويت بلاد العرب» وكان هذا الشعار سائداً في الخمسينات والستينات، وكان يوضع على بعض المراسلات والطوابع البريدية، لأنه كان يؤمن بأن الكويت جزء من الوطن العربي، وأن شعبها جزء من الوطن العربي. وفي عهده كان بإمكان العربي القدوم إلى الكويت دون تأشيرة، وخصوصاً أن منح التأشيرة في ذلك الوقت كان حقا من حقوق السفارات البريطانية. فالعربي كان يحصل على الإقامة بمجرد حضوره الكويت. ذلك أثر في الوعي السياسي لسعاد الصباح، وكذلك الإيمان بالحرية والمرأة، وكانت سعاد تحضر مجالس عبدالله المبارك



تتوجه للمنصة لتقديم شعرها لجمهورها الحبيب في قاعة صباح السالم بجامعة الكويت وخلفها ظهرت د. أمل العذبي الصباح

وديوانيته الرجالية، ولم يكن هناك سيده سواها، وهي مسألة غير معهودة في العالم الخليجي آنذاك، فضلا عن ذلك عندما رغبت في استكمال دراستها العليا في لندن للحصول على الدكتوراه، ترك الكويت ومصر وتوجه بها إلى هناك... هذا السلوك الحضاري جدا بقي حيا في نفس سعاد الصباح طوال حياة عبدالله المبارك وبعد رحيله أيضا.

وحين سئل الكاتب عن الفارق الكبير في العمر بين الشيخ عبدالله المبارك وزوجته «28 عاما» أجاب: «كان زواجهما على الطريقة التقليدية القديمة، وكانت هي بوعيها قادرة على ادراك فارق السن، وكان هو ينظر لها كسيده وليست كدمية، لقد لعب العقل دوراً كبيراً بينهما، وبقي التفاهم بينهما حتى



في ضيافة السيدة مارجريت تاتشر في بيتها بلندن
الأبناء الشيخ محمد والشيخ مبارك والشيخة الشيماء

وفاة عبدالله المبارك، وكل من يقرأ اليوم سعاد الصباح أو يستمع إليها يدرك إلى أي مدى هي مسكونة بعبدالله المبارك الصباح. تأمل ماذا تقول عرفانا بفضله:

أنت أدري

لو طلبت الشمس والزهرة

والأنجم طراً

لترامت حول أقدامك

بالضربة سكرى

مُرّتجدي أجعل الليل

إذا ما شئت فجراً

والخريف الجهم نيسانا

وألوانا وبُشرى

يا حبيبي لا تسأل ما لون حبي... أنت أدري

سعاد الصباح

«ديوانها. أمنية»

استميت القارئ عذرا أن أدخلت نفسي في مشاهد متعددة من هذا الكتاب، وكيف أحذف ذلك من ذاكرتي التي يعيش فيها منذ طفولتها استبداد الرجال في صعيد مصر وطني، والتي تلتقط نسيمات الحرية والحضارة في معاملة



مع الفنان إلياس الرحباني في بيروت

النساء، كما يلتقط تائه في صحراء جرداء قتله العطش نبع الماء، أو انهمار المطر فوق رأسه فجأة، وهو لا يصدق أنه عثر على كنزه المنشود.

هكذا تحركني بوصلة الحرية والحضارة في معاملة النساء فاركز قلبي وحرفتي «فوكس» عليهن فما بالي بمؤلفٍ قررت أن أقدم فيه هذا النموذج الفريد والمميز لامرأة سقى الله عشبها بأمطار هذا الكنز... وآمل أن يشفع لي ذلك، ويفسر هذا الاستطراد في صور كثيرة متعددة استحضرها من الذاكرة، لهذا المطر الذي سقى حياة الشاعرة، وأنبت لديها الكثير من الثمار التي زينت بها حدائق الشعر والمروءة في دفاعها عن قهر النساء، وفي تلك الصور الحارقة والصادقة في التحدث بلسانهن ونيابة عنهن، مع أنها هي نفسها لم تحترق بتلك النار، ولم يمارس عليها هذا الطغيان لا في طفولتها ولا في صباها أو نضجها وتألّفها... لذلك سأذكر قصة كنت فيها شاهد عيان وتعرف بطلتنا



ترعى مباراة كرة السلة في نادي الصيد والفروسية

أنني صديقة ويعرف المقربون منها ومن شيخها الجليل هذه الحقيقة والأهم أن يعرف القارئ أن ذلك ليس من قبيل تلميع الذات.

تعودت خلال ترديدي على أم مبارك سواء خلال استقبالها الأسبوعي في ديوانيتها التي كانت أول ديوانية تقيمها امرأة في الكويت للنساء، أو زيارات مختلفة كنت أجريها معها أحيانا كصحفية وأحيانا أخرى كمحبة تطمئن على الشاعرة الكبيرة وهي عائدة من رحلة علاج «لا أراها الله مكروها» أو عودة من حضان أجازة في الخارج إلى حضان الوطن... في إحدى هذه الزيارات كنت قد استعرت من أم مبارك بعضا من كتب مكتبتها القيمة التي لا قبل لي بالحصول عليها، وذهبت للقائها في مكتبها الذي هو في نفس الوقت مكتبتها العامرة بالكتب والمؤلفات القادمة من الشرق والغرب... كانت تجلس إلى



مع الشاعر يوسف الخال في أحد المؤتمرات عام 1986م

مكتبها وترد على رنين الهاتف الذي لا ينقطع... جلست قبالتها نتحدث عن آخر المستجدات في عالمنا، أعطيتها الكتب التي أخذتها... وما هي إلا دقائق حتى دق باب المكتب الزوج العزيز الشيخ عبد الله المبارك. رحب بها وبضيفتها وجلس بتواضعه المعروف على الكرسي المقابل، ودعاني للجلوس بعد أن وقفت تحية لقدمه.

في تلك الفترة من الزمن كان نجم الشاعرة والكاتبة السياسية سعاد الصباح قد توهج، ودواوينها الشعرية بدأت تتلاحق الواحد بعد الآخر، وسرت في المجتمع الكويتي موجة من الحسد والغيرة الأقرب إلى الحقد، على المرأة المبدعة التي أصبحت أشهر من نار على علم، والتي يعرف القاصي والداني فضائلها وجهدها ومكارمها.

لكن الحقد لا يعرف ذلك، ومتى كانت امرأة مبدعة في عالمنا العربي يتركها



في المعرض الدولي للكتاب مع الشاعر فاروق جويدة

المجتمع في حالها دون أن يحاول النيل من مكانتها، متى حدث ذلك، ولأنهم لا يملكون أية مواهب ولا قيم لذلك فما أسهل في عالمنا العربي من أن نصيب المبدعين بسهام الاشاعات المغرضة... ويقدر هذا النجاح يكون حجم الاتهامات والاشاعات والأباطيل، وهكذا كانت تلك الفترة بالغة القسوة عليها وعلينا نحن رفيقات مشوارها ومحبيها من الاعلاميين... كنت في نفسي مشفقة عليها من هذا التيار الحاقد والمؤلم خاصة على امرأة بالغة الرقة والحساسية انسانية، وزوجة رجل كبير المكانة، فقد يكدر عليها هذا الجو الكاره لنجاحها ذلك الصفاء الأسري الذي تعيشه، والعشق الكبير الذي يربط بينها وبين الشيخ المحب، في ذلك اليوم بالذات كان أحد الكتاب قد كتب مقالا «عام 1984» يشكك في أنها هي المبدعة لقصائدها.

كيف لامرأة ذات الدم الأزرق «يقصد من الأسرة الحاكمة» أن تكتب شعرا

بهذا التأثير وهذا السمو احساسا بالآلام وعذابات الآخرين! وكأن ذوات الدم الملكي ليسوا بشراً لهم قلب ينبض وكبد تهفو كأكبادهم «على حد تعبير أغنية لأم كلثوم».. لم أكن قد اطلعت على الجرائد في ذلك اليوم، لكن الشيخ الزوج رحمه الله سحب من فوق المكتب الجريدة وقال لها بكل حنان ومودة «أم مبارك هل رأيت ماذا كتب «فلان» - عنك؟ قالت بتأثر: نعم... قال بكل ما في قلبه الكبير من حب وايمان بابداع رفيقة العمر والمحبة: «انه قول مضحك لأن الشيوخ والأمراء بشر وناس مثل غيرهم من خلق الله يخصهم الله بالمشاعر الانسانية شأن غيرهم، ويعرفون الحزن والألم ويعبرون عنها شأن الآخرين، هل قلوبهم مصنوعة من الحجر ودمائهم من رمل وغيرهم من لحم ونبض؟!، سبحان الله» ولما سألت: ماذا حدث لأنني لم اقرأ هذا الهجوم اليوم قال رحمه الله «هذا طبيعي حين يحدث هذا الخلط نكون أمام ناس لا يستحقون التفاتة منا أو الرد على هلوساتهم، لأنه كلما أبداع أو نجح الانسان كثر الحاقدون حوله، وأضاف: كنت أتمنى أن يمارس في مقاله نقداً أدبياً لقصائد الديوان بدلا من ممارسته لهذه التفاهات، وأن يضع يديه على مواطن القوة والضعف بدلا من صب عقده وكرهيته على القراء... وردت الشاعرة في حزن شفيف وهدوء الواثق، ومتى كانوا كذلك؟!

كان الشيخ الكبير مرتبطا بموعد فريت بحنان على يديها اللتين ضمتهما على المكتب وجلست ترتوي بكلماته وتركنا إلى مبتغاه مستأذنا، وأذكر أنها واصلت حوارها معي كأن شيئا لم يعكر الصفو، وإن كنت أنا ظلت واجمة بعد أن سحبت الجريدة وقرأت الوقاحة المسطرة على صفحتها بينما هي ترد على الهاتف.

هكذا كان موقف الزوج المساند والداعم ولو كان زوجاً آخر، لكان قد طار صوابه وأقام الدنيا ولم يقعدا، وأبسط ما يمكن أن يصدر عن عاصفته الغاضبة، أن يمارس ضغطاً عليها لكي لا تكتب هذا الشعر اللاذع والصاعق لمجتمع لا يسمح للأنثى أن تضرب بكلماتها شواطئ المستحيل والمحرم، أعنى بها التطرق للدفاع عن المرأة وقهرها.

وفي ذلك تقول سعاد الصباح في أحد أحاديثها الصحفية: «لا يمكن أن تكوني محايدة في قضية كبرى كقضية الحرية وبالتالي لا يمكن للمثقف أن يقف في نقطة الوسط بين الحرية وبين العبودية والا تحول إلى لاعب سيرك.»

كان الزوج واعياً لعصره وضروراته وقد تأثرت بفكره ووعيه القومي في الكثير من كتاباتها وفي ذلك تقول: «لم يكن الرجل مغلقاً أبداً أو رافضاً للتجديد بدليل دعمه وتشجيعه لي»

وكان يقول أن النفط لوث بعض أخلاقنا... وكثير من قصائدي وكتاباتي هي من وحي أفكاره وتعليقاته.»

من كتاب «صقر الخليج» عبدالله المبارك الصباح.

لذلك لم أستغرب - بل إنني توقعت ذلك - حين رثته بقصيدة وصلت بها إلى ذروة الصدق وقمة الإجابة والتأثر لغياب هذا الدرع الواقعي ضد هذا الزمن الرديء، ولذلك سأسطرها للقارئ ليعرف إلى أي حد وصل عشق سعاد الصباح لزوجها ورجلها ودرعها وسندها عبدالله المبارك، ولم أجد خيراً مما قاله الكاتب علي المسعودي يعبر بنقده الرائع عن قراءته في

هذه القصيدة النادرة أنقل بعضاً من سطورهِ. يقول علي المسعودي وأواقه الرأي تماماً «تظل هذه القصيدة التي كتبها د. سعاد الصباح في رثاء زوجها الراحل الشيخ عبدالله المبارك علامة فارقة في الشعر من حيث جودتها وسبكها وقوة ألفاظها، وما تحويه من صور بلاغية واسقاطات وكنائيات ومرارة نقد من امرأة شامخة على رجلها الكبير... رجل ودع الحياة في ظروف عصيبة كانت تمر بها بلاده... في هذه القصيدة تداخلت أحاسيس الوطن بأحاسيس الحبيبة، وشجون العرب بشجون الزوجة وآلام الحزن بآلام الغياب، كما اختلطت مشاعر العشق بتواشيح الوداع، عبر صياغة شعرية مذهلة، بمقدرة فائقة على التعبير وبلوغ أقصى درجات الاحساس، قصيدة رثاء من عاشقة لرجل جدير بالثناء، رثاء جيل ورثاء أمه ورثاء قيم، وتطلع إلى منارة شاهقة، ستظل شاهد إثبات على تغير كبير في المرحلة التي نعيشها فيما يخص الأرض والانسان» وأضيف لما قاله الأديب المسعودي ودليل دامغ على أن عبدالله المبارك كان حبها الأول والأوحد والأخير، وأنه عشق باق رغم الغياب ورغم شطَّارِ النقد ومروجي الأكاذيب.

تقول الأرملة المفجوعة والمجروحة جرحاً غائراً في غياب الوطن

والحبيب:

آخر السيوف

ها أنت ترجع مثل سيف متعب

لتنّام في قلب الكويت أخيرا

يا أيها النسر المضرع بالأسى

كم كنت في الزمن الرديء صبورا

كسرتك أنباء الكويت ومن رأى

جبلا بكل شموخه مقهورا

هل كان يمكن أن تعيش لكي ترى

باب العرين مخلّعا مكسورا

صعب على الأحرار أن يستسلموا

قدر الكبير، بأن يظل كبيرا

يا فارس الفرسان يا ابن مبارك

يا من حميت مداخلا وثغورا

شريت خيولك دمعها وصهيلها

كيف الخيول تموت لا تفسيراً

ما عاد بحرك أزرقا يا سيدي

فكأنما صار النهار ضريرا

الإخوة الأعداء مروا من هنا

كي يملأوا تاريخنا تزويرا
 شنقوا الغني.. على مشانق حقدهم
 أما الفقير فلا يزال فقيرا

إلى أن تقول:

خذلوك يا شيخ العروبة عندما
 جعلوا العروبة مسلخا وقبوراً
 أبأ مبارك كنت أنت قبيلتي
 وجزيرتي والشاطئ المسحورا
 يا خيمتي وسط الرياح من الذي
 سيلم بعدك دمعي المنثورا
 يا من ذهب وما ذهب كأني
 في الليل أسمع صوتك البللورا
 أنت الربيع فلو ذكرتك مرة
 صار الزمان حدائقا... وعبيرا

إلى أن تقول:

الله يعلم يا أبي... ومعلمي
 كم كنت إنسانا... وكنت أميرا
 أبأ مبارك يا منارة عمرنا

يا درعنا وكتابنا المأثورا ...
كنت الكويت أصالة وحضارة
ومناقبا عربية وجدورا ...
البحر أنت يفيض عن شطآنه
قدر الكبير بأن يكون كبيرا
أبا مبارك سوف تبقى دائما
في العين كحلا... والشفاء بخورا
يا آخذ الكلمات تحت رداؤه
ما عدت بعدك أحسن التعبير!

لندن يونيو 1991

هذه القصيدة كتبها بعد وفاته بأيام حيث توفاه الله في 15 يونيو 1991 في لندن... رحم الله أبا مبارك الذي كان لشخصه وفكره وقلبه الكبير أكبر الأثر في أن تتطلق مهرة عربية أصيلة إلى سماء الشعر وحدود الشمس على حد تعبيرها «خذني إلى حدود الشمس»... ولا تزال سعاد العاشقة والوفية تكتب له الرسائل الواحدة بعد الأخرى والقصائد وتتغنى بمآثره ومحبته إلى الآن رغم مرور خمسة عشر عاما على رحيله... ألم أقل في البداية إن الحب الكبير يبقى مهما طال الغياب كبيرا.



أمومة سعاد الصباح وحدائقها البشرية

فرحتي بلقائك

كالضربة الأولى للجنين على جدار الرحم

كالحركة الأولى من سيمفونية بيتهوفن الخامسة

يا أيها الرجل الطالع من تشققات فكري

حيثما تكون على خارطة العالم

تذكر أمومتي

سعاد الصباح



أمومة سعاد الصباح وحدائقها البشرية

لعل الكثير منا يعرفون أن غريزة الأمومة وطبائعها لصيقة بالمرأة ومحفورة في ضميرها ووجدانها وتحكم توجه شتى تصرفاتها، والقليلون هم الذين لا يدركون هذه الحقيقة، وقد اثبتت الأبحاث الميدانية التي يجريها علماء النفس والاجتماع أن خروج المرأة للعمل وانشغالها بالعمل العام بكل أنواعه الوظيفي والتطوعي وحتى السياسي. لم يؤد إلى تقصيرها في مسؤولياتها الأسرية، وأتى في مقدمتها تربيته لأولادها والإشراف على تعليمهم وتهذيبهم وزرع القيم الضرورية في نفوسهم، لذلك لا تختلف سعاد الصباح عن أي امرأة عربية في هذا الشأن، وليس غريبا ولا من قبيل المبالغة أن نقول أنها في المراحل الأولى من طفولة أبنائها كانت تشرف على كل كبيرة وصغيرة تتعلق بهم.

أضف إلى ذلك أنها نشأت وتربت في بيئة كلها حب وحنان ومودة وتكريم للأبناء وفي مقدمتهم سعاد نفسها، وأنها بأحاسيسها المرهفة وعباءة الحب والحنان التي كان يلفها بها الزوج والتي سبقته إليها أمها رحمها الله بدفء أمومتها كما روت لي كل من ماما حسنة مربيته وحرم الشيخ فاضل الصباح أم سعود. ما أريد قوله أنها نشأت ونمت على معرفة بدورها كأنتى وزوجة وأم، وأنها كما قالت في أحد أحاديثها الصحفية، منذ العاشرة تعلمت أن تباشر شؤونها المنزلية بنفسها، وألا تعتمد على أحد في قصر أبيها رغم ما فيه من



مع الابن العزيز مبارك الثاني



مع الابن الغالي محمد



مع أمنية وفيض من حنان الأمومة

خدم «كما ذكرت ماما حسنة في الفصل الأول من هذا الكتاب». أقول كل ذلك لأبين كيف أن الجاه والمال والمكانة التي يتمتع بها زوجها في المجتمع وحضورها وشهرتها في مجتمعاها، ثم بعد ذلك نجوميتها والبريق الاعلامي الذي يصاحبها أينما ذهبت كشاعرة يعرفها الجميع، كل ذلك لدى النفوس السوية، يزيداها أصالة وحنانا وانسانية، والذين يعرفون الشاعرة جيدا، يعرفون كيف أن أمومتها تتعدى أولادها لتشمل الكثيرين والكثيرات حتى ممن هم أكبر في العمر من سعاد الصباح، ولذلك تتلقى أم مبارك الكثير من باقات الورد والهواتف المهنئة في عيد الأم ليس فقط من أبنائها الأربعة ولكن أيضا من كثير من الطلبة الذين علمتهم وعاونتهم وتخرجوا من أفضل الجامعات، وأيضا من الكثير من الأمهات الكبار سنا الذين شملتهم سعاد الصباح بأمومتها واحتضنتهم تحت مظلة حنانها، ومن الكثيرين الذين عادتهم عند المرض وتكفلت بعلاجهم والاطمئنان عليهم كأنهم من رحمةا. وأذكر أن صديقة من صديقات الديوانية كانت ابنتها مريضة بمرض في الدم وأرسلتها أم مبارك مع ابنتها للعلاج في الخارج وتكفلت بكل شيء وهذا ليس بيت القصيد، لكنني علمت منها بعد عودتها، أن الشبيخة «تقصد أم مبارك» كانت تتصل بالطبيب أكثر من مرة للاطمئنان عن حالة الابنة حتى أن الطبيب الانجليزي كان يستقبل الأم في عيادته باهتمام بالغ ويسميا «صديقة الأميرة العزيزة» من فرط اهتمامها بحالة ابنتها المريضة مع أن هذه الصديقة وشخصي المتواضع نعرف أنها مجرد مُحِبَّة عادية من محبي سعاد الصباح وزائرة عادية من ضيوف ديوانيتها، لكنها الانسانية ترمومتر يقيس المستوى الدافئ والعالي لهذه الأمومة.

حين نسمع أنها غرست في أبنائها قيمها وانسانيتها لا نستغرب ذلك، وحين



مع كريمتها الصغرى الشيماء

غابت وردة الكويت عن «قصرها الأبيض» في السنوات الأخيرة خلال فترة دراسة ابنتها أمنية وشيماء في لندن مرافقة لهما حيث أنهت أمنية دراسة الماجستير في الأدب الانجليزي وأنهت شيماء أيضا دراستها العليا في الفلسفة والاقتصاد يكون ذلك طبيعيا بالنسبة لأومومة سعاد الصباح الطاغية... وإذا كنت من المتابعين لأخبار هذه الأسرة الكريمة فإنك تعرف كيف أن ولديها محمد ومبارك يتمتعان بحب واحترام كبيرين لدى الكويتيين لأن الأم نجحت في أن تغرس فيهما تواضعها ومحبتها للناس والخير والانتماء الكبير واللصيق بالوطن «ومن شابه أباه فما ظلم» كما يقول المثل وأذكر بكل التقدير... كيف ظل الابن الشيخ محمد والشيخة أمنية وكان بقية الأبناء برفقة الوالدين في لندن... ظلا ليل نهار في المستشفى مع صديقة الأم عبير الشوا رحمها الله، وكيف حزنا عليها كما يحزن الانسان على أهله حين توفاهها الله. والذين



أم لكل الأطفال في زيارة لها لإحدى دور الرعاية في بيروت
توزع عليهم الهدايا في الستينات

يقتربون من هذه الذرية الصالحة يعرفون أنهم ينادون الجميع بخالتي وخالي وأنا واحدة ممن يسعدتها هذا اللقب، ولا أنسى حين كان يلفنا سخاء أم مبارك كما هي دائماً - بدعوة على الغداء... وعدد من الضيوف دائماً موجود معهم، كان الشيخ محمد المبارك وكان صبياً يافعا في ذلك الوقت يجامل ضيوفه فيحمل أحد أصناف الطعام ليقدمها لخال أو خالة من ضيوف والديه قائلًا: «من فضلك عشاني خالتي خذي قطعة لأنها لذيذة» أسوق هذه القصص التي رأيتها بأم عيني لأعطي ملامح هذه الحداثق البشرية. أو أن التقى مصادفة وأنا في طريقي إلى مكتب الأم للقائها بابنتها البالغة التهذيب أمنية فتتحرف عن طريقها لتحبييني وتسالني «كيف عيالك يا خاله» أقول كل ذلك لا للتدليل على قربي من هذه الأسرة الكريمة مع ان ذلك يسعدني، ولكن هذا هو السلوك العام مع الناس، احترام الفقير قبل الغني والتواضع والكرم... والذين تعاملوا



مع الحميدتين سعاد وفضيلة محمد عبدالله المبارك

مع هذه النبتة الطيبة يعرفون صدق ما أقول».

لذلك حين أصبح الشيخ محمد رئيس جهاز «خدمة المواطن بدرجة وزير» كانت المهمة تناسب تكوينه الانساني لأنه خير من يصلح للقيام بهذه المسؤولية فمثله لا يقبل أن يُظلم مواطن كويتي وهو لن يرتاح حتى يرد له حقه، هكذا تعلم منذ طفولته وصباه وعلى ذلك نشأ وترى وكذلك إخوته.

ولأن أمومة سعاد الصباح تحتوي تحت مظلتها أبناءها وأبناء غيرها وحتى الأمهات الكبار في العمر عنها، لذلك كان شعرها معبرا عن هذه الأمومة، فهي أم لزوجها وأم لحبيبها وأم لكل من يحتاج حنانها وعطفها، ومالها يشاركها فيه كثيرون تراهم سعاد في حاجة ماسة إليها فلا تتوانى أبدا عن تقديمه إليهم، حتى أسبغت أمومتها هذه على قضاياها القومية، فإذا ما تبنت واحدة منها كانت هي شغلها الشاغل واهتمامها الأول. وبدا ذلك واضحا في أشعارها انظر ماذا تقول لحبيبها الذي تعتبره ابنا لها:

هل أنا حبيبتك؟ هل أنا أمك؟

هل أنا مملكتك أم أنا مملوكتك؟

هل أنا أنا؟ أم أنا أنت؟

إن الأمومة في داخلي

تطغى على جميع العواطف الأخرى

فلماذا أخاف عليك كل هذا الخوف

ثم تقول في قصيدة أخرى «عنوانها» «أمومة»:



مع النجلين العزيزين الشيخ محمد والشيخ مبارك واستعداد لرحلة صيد بالصقور

فرحتي بلقائك

كالضربة الأولى للجنين على جدار الرحم..

كالحركة الأولى من سيمفونية بتهوفن الخامسة

يا أيها الرجل الطالع من تشققات فكري

حيثما تكون على خارطة العالم

تذكر أمومتي

وفي قصيدة أخرى تقول لحبيبها:

أحيانا يخطر لي أن ألدك

لأحممك

وأُنشِفَ قَدَمِيكَ

وَأَمَشَطْتُ شَعْرَكَ النَّاعِمَ

وَأَغْنِي لَكَ قَبْلَ أَنْ تَنَامَ

هذا التصور لا يخرج إلا من وجدان امرأة أم وأمومة بالغة الانسانية وحتى اسم هذه القصيدة «أمومة» من ديوانها «في البدء كانت الأنثى» ألا ترى أن سعاد الصباح في البدء عندها كانت الأمومة... وما أجمل أن تكون مشاعر الأمومة الراقية هي نفسها مشاعر الحب للزوج وللصديق وللإنسان، هل تريد حبا أنقى وأكثر شفافية من هذا الوجد بالإنسان والوله بالمرءة والانسانية.

كما أن الزوج والزوجة أعني الدكتورة سعاد وزوجها المغفور له بإذنه تعالى الشيخ عبدالله المبارك، أرادا أن يكون ابناهما شأن أبناء الحكام في كل الدول المتقدمة دارسين ومدرسين على أمور الضبط والريط والشؤون العسكرية لذلك تخرجنا من كلية سانت هيرست العسكرية بانجلترا، وهي الكلية المكتوبة على جبين كل شباب الأسر المالكة ابتداءً من الأمير تشارلز ونجليه ويليام وهاري مروراً بكل أبناء الأسر الحاكمة في العالم بشرقه وغريه.

كذلك فإن أبناء وسيدات هذه الأسرة الكريمة «أسرة الشيخ عبدالله المبارك» ورثوا في جيناتهم الكثير من صفات الأب والأم وفي مقدمتها مساعدة الناس، أو الرغبة الشديدة في تقديم العون الانساني... وقد ذكرت لي صديقة من صديقات ديوانية الشاعرة، كانت تتردد على مكتبها مرتين في الأسبوع لترتيب الارشيف والرد على رسائل المعجبين وهي رسائل كما علمت تأتيها من شتى أنحاء العالم، ذكرت لي الصديقة نفسها أن الدكتورة سعاد على ما تظن كانت



مع آخر العنقود الجميل «الشيءاء» في ثياب الإحرام

تخلق لها هذا العمل الذي لا تحتاجه لمساعدتها بشكل كريم لأن لديها في القصر في الدور الأول عدداً من الموظفين الذين يتلقون الرسائل والهواتف ومطالب الناس من الشيخ وحرمة كما قالت لي: إن الشيخ محمد والشيخ مبارك كانا يمران بها وهي تؤدي عملها في مكتب الأم الشيخة ويسألانها ان كانت تريد أن تشرب شيئاً أو تطلب طلباً لكي يبلغاه للمطبخ. كما أن الشيخ محمد كان أحياناً يأتي ليرى الوالدة فننا أنها في مكتبها فيحيي الصديقة ويتبادل الحديث الودي معها ولا يبخل بما لديه من معلومات تفيدها في حياتها، حتى أنه سألها مرة عن ابنها الذي سيحصل على الثانوية العامة وأين سيذهب للدراسة فقالت له ربما ترسله إلى الغرب لأن جامعة الكويت لا تقبل غير الكويتيين، ولم تكن وقتها الجامعات الأجنبية قد فتحت في الكويت، وتذكر أنه لم يبخل أن ينصحها بجامعة رائعة هي جامعة وبستر في سويسرا، وأنه اعطاها أوراق وبيانات كافية لتحملها إلى ابنها ربما تفيده... وتضيف الصديقة كان الشيخ محمد في ذلك

الوقت في السنة الأولى الثانوي، لكن حب مساعدة الناس وتقديم العون لهم كان في تركيبته الكيميائية منذ طفولته شأنه شأن ما تربي عليه لدى الوالدين.

كذلك كانت ولا تزال الشيخة أمية أم فهد تأخذ الكثير من الوالدة بالاستماع والإنصات للآخرين بحياتها الإنساني، أما أصغر الزهور البشرية التي ربّتها الشاعرة فهي الشيخة الشيماء، وهي منذ طفولتها تكسو وجهها مسحة حياء وصوت خفيض لا يكاد يسمع، وكأن هذه الصفات تنتقل من جينات الأم إلى أولادها... وإن كان بدرجات متفاوتة حيث تزداد درجته عند الإناث وتخف قليلا لدى الأبناء الذكور وهذا من طبيعة كل منهما... وقد ألمحت الشاعرة في أحد أحاديثها الى ذلك فقالت: «أولادي هم صورتى الثانية وكل واحد منهم يعكس قسمة من قسماتي، أو ملمحا من ملامحي». والشيخة شيماء حاصلة على الماجستير في الفلسفة والاقتصاد تماما مثل الوالدة فهي متأثرة كثيرا بها حتى في الدراسة. وحين سئلت الشاعرة ماذا أخذ الأولاد من صقر الخليج الشيخ عبدالله المبارك أجابت: كلنا متأثرون به محمد أخذ الكثير من طباعه، ولكن مبارك يكاد يكون هو حين يقبل علينا أو يتحرك تحسب أن عبدالله مبارك هناك... إنه يعيش معنا لم يغب بأعماله وأبنائه.

أما أجمل ما أنعم الله به من نعم على الدكتورة سعاد فتقول: انهم الأبناء والأحفاد، وحين ألعب أحفادي أتحوّل إلى طفلة مهمتها جلب الفرح إليهم أهتم بهم إلى حد أنني لا أحتمل البقاء لحظة واحدة حيثما كنت، إذا عرفت بمرض أصاب أيا منهم، مع أحفادي أعلق رصانتي وهذوئي وشخصيتي على الباب قبل أن أدخل عليهم.





تحتضن مولودها الثاني محمد في أيامه الأولى

هاجس الأمومة عند سعاد الصباح

الأمومة تجري في دمها وتلون كراتها البيضاء والحمراء بلون حنانها ومحبتها وأشعارها تتقل لك في الكثير من قصائدها هاجس الأمومة سواء كانت حبيبة، أو أمماً أو مواطنة، يتضح ذلك في أكثر من قصيدة ففي ديوان «في البدء كانت الأنثى قصيدة «الأمومة»، وهذا الهاجس يتجلى في علاقتها مع من تحب، فالكلام عن العشق عندها لا يعبر عن أشواق الجسد وشهوات القلب، بل على حد تعبير الاستاذ الدكتور نذير العظمة «يتخذ من القصيدة سلاحاً لاسترداد هذه العلاقة طبيعتها السوية الجميلة» كما رأينا في هاجسها مع الأمومة وهي تتساءل في قصائد حبها قائلة في قصيدتها «أمومة» تقول:

أحياناً يخطر لي أن ألدك

لأحممك

وأنشف قدميك

وأمشط شعرك الناعم

وأغني لك قبل أن تنام..

وفي قصيدتها «ثمن الأمومة» تقول:

لا أستطيع أن أقول لك: لا

ولا أستطيع أن أقف في وجه

نزواتك الصغيرة...

فأنت تستغل طفولتك بذكاء...

وأنا أدفع ثمن أمومتي



ديوانية سعاد الصباح أول ديوانية لامرأة في الكويت والخليج

كانت العزيزة أم مبارك تستقبل محبيها وصديقاتها ومريدات شعرها من نساء الكويت والعرب في صالونها العامر يوم الثلاثاء من كل أسبوع، وكان لهذا اللقاء متعة ومذاقٌ خاص لدينا نحن صديقات «أم مبارك» كما تحب أن نناديها. وكان له مردود انساني كبير بيننا وثناء ثقافي بتبادل الأفكار والمودة وآخر الأنباء الثقافية الكويتية والعربية. وكانت هذه أول ديوانية تقيمها امرأة بالكويت والخليج مثل ديوانية الرجال.

كانت إحدانا إذا عرفت بجلوسها للاستقبال تبادر إلى الهاتف فيخبر بعضنا البعض أن أم مبارك ستجلس اليوم لاستقبال أحبائها. ومن جانبنا نحرص على حضور الديوانية، كنا نلتقي بسطاء وعظماء... مكافحات وكادحات شيخات وهوانم... أستاذات في الحقوق وفي الاعلام والفكر والأدب والاقتصاد من جامعة الكويت. لم تكن في ذلك التاريخ جامعات أخرى أمريكية واسترالية وجامعة الخليج لم تكن قد فتحت. نساء من كل لون وطبع ومستوى ثقافي... ربات بيوت وطبيبات شخصيات متنوعة الفكر والجنسية تغلب عليها الكويتية.. وعلى اختلاف فكرها ومشاربها يجمعها شيء واحد حب سيدة القصر الأبيض، كان ذلك منذ الثمانينات بعد أن أنهت دراساتها العليا في لندن وعادت إلى

وطنها تحمل علمها وفكرها في الاقتصاد. ودامت هذه الديوانية حتى وقت قريب، لكن بسبب انشغال أم مبارك في المشاركة في المؤتمرات والمؤسسات التي تؤمن بدورها في حياتنا العربية وفي حياة وطنها، وسفرها الدائم لحضور هذه الفعاليات، وكذلك أعباء مكتبها الاستشاري في المجال الاقتصادي ودارها للنشر والكثير الكثير من الأعمال والمشاركات التي لا يتسع لها المجال علاوة على زيارة المرض لها «شفاها الله وعافاها» اضطرت أن توجّلها إلى أجل غير مسمى، ولذلك نفتقد هذه الديوانية بتواصل الأحباء ويحس أغلب أعضائها بأن شيئاً ما ينقصنا بعد أن تعودنا عليها سنين طويلة، وغالبا ما تهاتفها واحدة منا تسألها متى تعود لقاءتنا الجميلة معك؟

أذكر من رواد الديوانية العديد من الشخصيات منهم د. ميمونة العذبي ود. أمل العذبي وحرمة الشهيد فهد الأحمد رحمه الله الشبيخة فضيلة العذبي والاعلامية القديرة فاطمة حسين والسيدة ليلى حسين والصديقة الرقيقة عبير الشوا رحمها الله والاعلامية الصديقة منى طالب. وكذلك من نجوم الديوانية أم خالد وفيقة الثاقب خالة الدكتورة سعاد وزوجة السيد نجيب الملا وهي صديقة مقربة من قلب الشاعرة، وقد تعرفت عليها من هذه الديوانية ثم بعد ذلك عرفتها من خدماتها في جمعية المعوقين، وكذلك خالتها إقبال الثاقب وخالتها نجلاء الثاقب وزوجات أخوال الشاعرة، وحرمة عم صاحبة الديوانية أم سعود حرم الشيخ فاضل الصباح وهي امرأة بالغة التهذيب والود. كذلك التقيت بالدكتورة الصديقة سهير بركات وهي استاذة جامعية في الاعلام عرفتها في بداية عملي بالصحافة المصرية بعد تخرجي مباشرة وكانت قدوة لنا نحن الصحفيات المبتدئات وأسعدني لقائي معها في ديوانية الشبيخة.

كذلك توطلدت صلتى بالأديبة الصديقة ليلي محمد صالح التي كنت أعرفها من أعمالها الأدبية وزمالتها في الصحافة الكويتية لكن توطلدت صلتى بها وبشقيقتها هند من ارتياد الديوانية.

كذلك تعرفت على سيدة فاضلة يقال لها مدام قدومي أو «أم سعاد» وهي سيدة سورية بالغة التهذيب ومن محبي الشاعرة، ومن فيض هذا الحب سمت ابنتها الوحيدة التي رزقت بها باسم الشاعرة... عدد كبير من أرقى سيدات الكويت وسيدات عربيات ومن أبسط السيدات، ولا يتسع المجال لذكر كل الأسماء لأن القارئ سوف لا يغفر لي ذلك، وربما لأن الذاكرة شاخت وآثرت التمسح في القارئ، لكنني أظل أذكر سيدة عراقية يبدو على محياها ثراء غابر أو صمت من قهرته أيامه... كانت لا تتكلم كثيرا وإن كانت عباراتها لسيدة القصر تحمل بين أحرفها امتنانا كبيرا، وفي عيونها يطل بريق عرفان ومحبة لسيدة الديوانية... هذه السيدة الفاضلة عرفت بعد وقت طويل من ارتياد الديوانية، أنها كانت زوجة نوري السعيد رئيس وزراء العراق الذي سحلته الثورة العراقية وهو يحاول الهرب من العراق متخفياً في زي امرأة. كانت الدكتورة سعاد تودها وتعطف عليها عطفاً مشوباً باحترام عزيز قوم لم تتركه الكويت يذل على عاداتها في إيواء من أعوزته الظروف... فقد جاءت هذه السيدة إلى الكويت هي وابنتها للاحتماء بها كلاجئيين سياسيين، وكعادة هذا البلد المضياف استضافهم سمو ولي العهد «في ذلك الوقت» الشيخ سعد العبدالله - أمد الله في عمره - وقدم لهما بيتاً ومعاشاً يقيهم شر غائلة الدهر ويحميهم من العوز، كما أخبرتني بذلك المرأة نفسها فيما بعد. وكانت يد الشيخ عبدالله المبارك وحرمه الدكتورة سعاد على عاداتهم حانية على هذه الأسرة،

تمتد إليها وتمسح عنها يد الزمن الغادرة. وأذكر أنني لم أكن أعرف وحتى هذه اللحظة اسم المرأة، وإن كانت من المواظبات على حضور الديوانية مثل الكثير من الوجوه التي تعرفت عليها في هذه الديوانية الأثيرة. كما شملت الديوانية عدداً من أفاضل سيدات البادية أذكر من بينهن «أم خلود» التي كنا نستأذن سيدة القصر حين يقترب الوقت الودود والجميل من نهايته ونطلب فتاجين من القهوة، ونتحى بأُم خلود البدوية الفصيحة اللسان والجميلة الوجه والكلمات، ننتحي بها جانباً من الصالون الفسيح حتى لا نزعج صاحبة الدار وباقي الضيفات، ونجلس على السجادة في أحد الأركان الأنيقة من القاعة المتعددة الأركان والتي تستوعب ضيفات متعددي الثقافات والمشارب والمستويات، نجلس تاركين أحذيتنا على جانب وبعد أن نشرب القهوة ونتحدث مع أرباب الحضارة في السياسة والشعر والأدب ندلف نحن أحياناً قراءة الطالع وكنت بحكم عُقْد الطفولة ورفقتي لعمتي المحبة لهذه الخرافات أول الجالسين لقراءة الطالع في فنجان واحد ترى فيه أم خلود طالعنا جميعاً مرة واحدة... كنا نتسلى بذلك رغم إيماننا بأن الغيب يعلمه الله وحده، لكننا مثل أي امرأة لم تعرف القراءة والكتابة تبحث عن سعادتها وتتسلى أو تتلهى بتمنيات قد تأتيها على لسان أم خلود وعلمها الفطري في النفس البشرية. كنا نقول لربة الدار التي لا تشاركنا هوايتنا هي ومجموعة من ضيفاتها: «نعرف أن المنجمين كاذبون ولو صدقوا... لكن اسمحي لنا بهذا العبث البريء»، ولأنها مفضولة على الحياء والمروءة لم تكن تردنا. وأم خلود تقفز الى موقع الصدارة من جلستنا نحن الراغبات في نكهة مختلفة عن عالم الثقافة والسياسة والقومية والشعر والأدب الذي تتناوله أحاديث مضيفتنا مع باقي سيدات الصالون، وهكذا كانت زوجة رئيس

الوزراء العراقي تجلس بيننا وتقرأ لها أم خلود الفنجان الجماعي، وهو فنجان تمسكه أم خلود لكل واحدة منا وتقرأ فيه طالعنا واحدة واحدة... وكأن هذه البدوية اللماعة تريد أن تقول أنتن يجمعن حب هذه المرأة النجمة، وتعرفن أن الغيب لا يعرفه إلا الخالق، لذلك ما المانع ما دام الأمر غير جاد أن نقرأ فنجانا جماعيا وأن اسمعن طرفا مما أعرفه عن كل واحدة وبالطبع كان كل ما نسمعه يسر الخاطر.

كان حديثها باللهجة البدوية المحببة فيه شعر شعبي وفراصة البادية بأكثر مما فيه قراءة طالع، وكأننا نريد أن نختمم جلستنا الدسمة بشيء من الحلو الخفيف على الروح وعلى القلب... خاصة بالنسبة لواحدة مثلي تعمل من زمن طويل في مهنة البحث عن المتاعب. ولها ذكريات مع قهر الأنثى في صعيد مصر وأمانيتها التي لا تتحقق إلا لدى قارئة الفنجان!

هكذا تعرفت في نهاية أحد هذه الزيارات إلى زوجة السياسي العراقي حيث كنت أهم بالانصراف وكان سائق الشيخة «د. سعاد» قد تأخر ليحملها الى بيتها، ولما عرفت أنا ذلك قلت مبادرة للدكتورة أنا أوصلها فليس لدي ما يمنع قالت مضيفتي الانسانة... «مشكورة لأنها لديها ارتباط»... كان ذلك من قلبي وعلى الرحب والسعة.

في الطريق حكيت لي مرافقتي التي كانت عزيزة قوم لكنها عاشت معززة مكرمة في الكويت كما ذكرت لي، كيف أن الشيخ وحرمة «تقصد الشيخ عبد الله المبارك ود. سعاد» كانا لها السقف والدعم والسند دون أن تسأل. وحكيت لي قصصاً عديدة عن مروءاتهما معها ومع ابنتها طوال هذه السنين، ثم فتحت

حقيبتها وأرتتي خاتما جميلا تحتفظ به من بين مصافها وأنها لم تجد أنبل ولا أكرم من أم مبارك تعبيرا عن مشاعرهما تجاهها وأنها قدمته لها اليوم بعد أن انتصت بها جانبا ورجتها أن تقبله، فقالت لها أم مبارك: «أرجوك ابقيه لك ذكرى لأيامك وأنا تكفيني مشاعرك». كم هي رقيقة وعطوفة هذه المرأة العربية الأصل والنخوة، الكويتية المروعة والهوية، الانسانية التي كرسَتْ حياتها وعلمها ومالها وشعرها للوقوف بجانب المتهورين والمحرومين وذوي الحاجة واحتتمت حديثها مرافقتي قائلة: «الأ تستحق امرأة كهذه أن نجلبها ونعشقها ويعشقها الكثيرون، يعشقون فضائلها وقيمها حتى لو كانوا رجالا أليسوا هم بشراً ومن البشر من يحب رائحة الحضارة ويعيرها فما بالك بالسلوك الحضاري» لكن الأيام التالية حملت إلي خبراً أزعجني عن هذه الضيفة العراقية التي أرسلتها بيتها، لقد علمت أنها توفيت وهي تعبر الطريق إلى بيتها إثر حادثة مروية مؤسفة... يومها تمنيت لو لم أكن أعرفها أو أوصلها في ذلك اليوم، شيء آخر في الديوانية كتبت ألمعه بين الحوارات... لم تكن المضيمة تسمح وهذا ما عرفناه عن طباعها من المقربين إليها قبل الولوج في صداقتها، لم تكن تسمح للضيمة النسائية أن تتواجد... فعرض الكويتيين مصان وعرض المرأة مهما كانت هويتها مصان، وهذا ما أكدته زوجة عم الشاعر أم سعود في حوارٍ معها، وأبي حوارٍ مهما كان خفيف الظل يجب أن يبعد عن هذه المحالير... لذلك تكونت من هذه الديوانية صداقات وعلاقات بالغة الرقة بين رواد الديوانية وبينهم وبين المضيمة بالطبع، علاقات زادتْها الأيام رسوخاً، ولا تزال نحن رواد هذه اللقاءات الوردية في الأيام السالفة والجميلة كعادتنا في التعسس على كل ما كان جميلا بعد أن يزول، بعد أن زارت الأحزان وجدان وقلب بطلتنا الرقيقة

فشطرتها وفطرتها قلباً ووجداناً... وزارها الألم النفسي والجسدي فلم تعد بمرور الزمن تقوى على الجلوس والحوار المتعدد المشارب مع كل هذا الكم من الصديقات والمسؤوليات. أذعوالله تعالى أن يهبها الصحة وطول العمر لتثري بعطائها مجتمعتها، وليسعد بها أصدقائها ومحبوها وهم كثر، ومن كل صوب ولون... وليغفر لي من لم يرد اسمه رغم أهميته، حيث ان الذاكرة من كثرة ما مر بها من أسماء خاصة مصادرنا الصحفية لابد أن تصاب بالزهايمر أو النسيان بالتعبير الأكثر جاذبية من كثرة ما تحتوي علي مر السنين من أسماء.

في هذه الديوانية كانت تتجلى أجمل صفاتها «الانسانية» حيث تشعر ضيفاتها بالاهتمام والترحيب، خاصة أنها تحرص على توديع البسطاء والغرباء بأكثر من القربات والعظيمات، وكانت لا تتردد في توصيلهن للمصعد بحيث يتبادر إليك إحساس جميل وإنساني بأنك الأهم في هذه الضيافة... لكن الحقيقة أنك لدى سعاد الصباح وفي ضيافتها تشعر أنك مكرم وأنتك سواء كنت في القصر الأبيض أو في أي مكان معها مرحب بك كإنسان، كان هذا يصيب الكثيرين منا برضا وسعادة لا حدود لها، فعند سعاد الصباح تعرف معنى أن يكون الكبير إنساناً، وأن يعطى إنسانيته لمن يريد لها أو بمعنى أصح لمن يحتاجها وهي بفطرتها الإنسانية تعرف أن البسطاء يحتاجونها أكثر من غيرهم!





في مكتبها بالقصر الأبيض
وخلفها صورة الوالد الشيخ محمد الصباح

أحزانها الغائرة

أيها القاسي

أنت يا من كنت في ليالي مصابيح النهار

أنت... يا من كنت في صحراء أيامي اخضرار

لا تسلني عن همومي، فهي من غير قرار

لا تسلني عن دموعي، إنها ماء ونار

تلتقي فيها البراكين بأمواج البحار

وأنا أرخي ابتساماتي على الحزن ستار

سعاد الصباح

من ديوانها .. أمنية



تذاكر سفر بلا عودة

بداية خيوط الحزن:

سعاد الشاعرة وسعاد الانسانية وسعاد الأم وسعاد الزوجة وسعاد الابنة، كل هؤلاء لديها عرفوا لوعة الفراق وحرقة الغياب ولهيب فقد حبة القلب والروح



حبة القلب مبارك الأول في الثانية عشرة يحتضن شقيقه محمد

بين الأرض والسماء... سعاد زارها الحزن مرات ومرات.. بدأ زيارته لها عامي 1959، 1960 وتعرفت علبة ألوانها على حد تعبيرها على اللون الأسود حين زارها الموت ليقدم لأمها وأبيها تذكرة السفر في رحلة الالعودة.

ثم توالى ضربات اللون الأسود فزارها مرة أخرى في طائرة بين السماء والأرض، ليخطف منها درة القلب وروح الفؤاد ابنها البكر مبارك الكبير، وهو بين أحضانها... مبارك كان حلمها الكبير وقرّة عينها وعين والده كان ذلك في عام 1973...

ثم أصبح الموت صديقا يزورها فيقطع الأحبة تاركا الوجد في نفسها، إلى أن جاء فجر يونيو حزيران عام 1991 يدعو آخر السيوف لينام في قلب الكويت «زوجها المغفور له الشيخ عبدالله المبارك» ورغم أن كل هذه الأحزان تركت حفرا غائرة في قلبها ووجدانها... إلا أن فقدان بكرها مبارك كان جرحها الكبير الذي جرفها بأحزانه، ولم تستطع سعاد خلال فترة ليست قليلة امتدت سنوات، أن تكتب شيئا عن هذا الحدث إلا بعد سنوات طويلة ساعدها على ذلك انغماسها في إنهاء دراستها العليا في لندن حيث حصلت على الماجستير بعد ذلك بثلاث أعوام ثم الدكتوراه..

كان من نعم الله عليها هذا التطلع العلمي الذي رأت فيه ملاذها الذي أنقذها من الانصياع لحزن كبير كان يمكن أن يجرفها في طريقه، صحيح أنها كانت تكتب المقالات الاقتصادية والسياسية في الجرائد والمجلات الكويتية، لكنها أبدا لم تستطع أن تحلق في فضاءات الشعر، لتصدر ديوانها عنه «إليك يا ولدي» إلا في عام 1982.

بعد أن طاب الجرح واندمل وبقيت أحزانها في الأحداق وفي جوارير القلب تكسو طلعتها وحتى ابتسامتها بحزن شفيف، وقد لخصت ذلك بقولها في أحد أحاديثها الصحفية و«في ديوان «إليك يا ولدي»: «أحسست بشلل شعري جزئي حسبت أنني لن أجد طريقاً إلى الشعر بعده أي بعد فقد مبارك».

لكنها كتبت وكتبت وكان ديوانها، «إليك يا ولدي»، مليئاً بالأحزان... تماماً مثل ديوانها «آخر السيوف»، الذي رثت فيه زوجها وحبیبها عبدالله المبارك، يقول الكاتب فضل الأمين في مؤلفه الصادر في بيروت عام 1994 «الحزن الرومانسي المقدس ملاً ما بين دفتي المجموعة الثانية «إليك يا ولدي». تقرأ نصوصاً عفوية الحزن و عفوية البيان والصور، لأنها تصدر عن فيض خاطر مكلوم حزين، لا صنعة فيها ولا تكلف ولا تزويق ولا زخرفة. انظر ماذا قالت في إحدى قصائد الديوان - المرثية:

ليت أمي ولدتني في زمان الجاهلية

بين قوم يئدون البنت في المهد صبية

قبل أن أصبح أما ذات أزهار ندية .

وتذوق الثكل والسقم وألوان البلية

وتحت عنوان «سؤال» كتبت هذه الدمعة:

رفاقك الصغار يسألونني عن الخبر

شهران مرّاً والمبارك الحبيب ما ظهر

فإن أقلُّ: مسافر... قالوا: إلى متى السفر؟

قد أقبل الصيف على شاطئنا وما حضر

وفي مرثيتها التي تقطر بالفجعة:

«طائرة الموت» تقول:

صاح بي طفلي المصدى وهو مخنوق الأنين

ويك أمي أدركيني... ويك أمي أنقذيني...

اسعفيني بهواء من صمام الأوكسجين

وخذيني في ذراعيك لأرتاح... خذيني

قريبي... قبليني... عانقيني... أدفئني

إنني أشعر بالرعشة تسري في وتيني

قالها ثم ارتمتي في الأرض كالفرخ الطعين

فارتمتني قلبي عليه في التبايع وحنين

ولدي يا كنز أيامي... ويا حلم سنيني

يا شبابا كلما حدقت فيه يزدهيني

ليت ألامك كانت في كياني تعتريني

أه من طائرة الموت التي هزت يقيني

إلى آخر المرثية المكتوبة بمداد القلب وفجیعة الأم في حبة عينها وذخر
السنين.





في مكتبة الأسد بدمشق ترد بالشعر على الغزو البربري لوطنها 5 فبراير 1991م

جرح الوطن

❖ الدبابة اسوأ مفاوض في التاريخ... وقوة المعدن لا يمكن أبدا أن تنتصر
على قوة البصيرة والعقل... والصاروخ قد يهدم مدينة لكنه لا يهدم تاريخ
شعب وتراثه وعنفوانه.

«سعاد الصباح»



تخاطب في هايدبارك بلندن وابنها محمد يحمل الميكروفون «أغسطس 1990م»

الجرح الأكبر الأكثر عمقا

الموت في النهاية أمام فكرها الثاقب وإيمانها بقضاء الله، تقف أمامه مستسلمة كما يقف الجميع مستسلمين فهو حقيقة من حقائق الحياة وليس كل أحزانها...

هناك أشياء بالغة القتامة على النفس البشرية لا تستطيع أن تتقبلها مثلما تتقبل الموت، خاصة إذا كانت بفعل البشر، كأن تفقد فجأة وطنك، لذلك كان غزو النظام العراقي للكويت هو الجرح الأكثر عمقا وفداحة، وهو الأكثر نزفا في وجدانها الرقيق الذي يلتصق بالوطن التصاق الطفل بأمه والوريد بالشريان، وقد رأينا جميعا كيف ضربها هذا الزلزال في العمق، لكنها لم تصب بالانهيار أو تستسلم. كانت تنتقل كالرمح بين لندن وبيروت والقاهرة ودمشق



تشارك في مسيرة ضد الغزو في لندن

لتلقي قصيدة أو تخرج في مظاهرة أو تقييم ملتقى خطايا أو تشارك في ندوة، وكان لها برنامجاً يومياً تعده وتقدمه من اذاعة الرياض، وتشارك بمالها بسخاء في هذه الأنشطة التي تخدم قضية الوطن، ومَنْ أعلى من الكويت على قلب سعاد يأتي بعدها كل شيء وليس قبلها أي شيء.

لذلك كانت قصائدها عن هذا الحدث والتي تغنت فيها بالوطن من أقوى وأروع القصائد وذكريات هذا الحدث الزلزال ما زال يحضر بعمق في شعرها ونفسها وكتاباتها. انظر ماذا تقول عن هذا الحدث الدامي في ديوانها برقيات عاجلة إلى وطني:

أيها الماشون في الفجر على أشلائنا

ما الذي يجدي صراخي.. ما الذي يجدي كلامي؟

وأنا مسحوقة حتى عظامي؟

من ترى يسمع صوتي..

وأنا مدفونة تحت الركाम؟

عندما يطعنني في الظهر سيف عربي

يصبح التاريخ عارا

عندما يذبحني أبناء عمي في فراشي

يصبح الحلم العربي غبارا

وفي قصيدتها «سوف نبقي غاضبين.. في الديوان نفسه الذي ينزف من

عمق الجرح ومن احتراق القلب والصدمة مما فعله الجار تقول:



الشعر يخاطب الشعر مع الأمير السعودي عبدالله الفيصل والوطن هو الموضوع

أيها الجار الذي هدمّ داري

وأنا عمريت في قلبي له ركننا ودارا...

إنني مكسورة... مقهورة... ذاهلة

تقذف الخيبة أحلامي يمينا ويسارا

يا الذي أهديته الماء... وأهداني الصحارى

يا الذي أهديته الأفق وأهداني الحصارا

يا الذي أهديته نصرا من الله... وأهداني انكسارا

يا الذي أحرق أسراب العصافير وما قدم للريش اعتذارا

لا تؤاخذني إذا جن جنوني.

أنت لم تترك لإنسان خيارا

والشاعرة سعاد الصباح شاعرة مهمومة بقضايا وطنها وأمتها ولذلك يرى الناقد الدكتور محمد رجب النجار أن «التخلف الحضاري يؤرقها وكذلك اليأس الاجتماعي... وإن مؤلفاتها العلمية في الاقتصاد والسياسة شأنها شأن مؤلفاتها الإبداعية شعرا ونثرا تجعلها رائدة من رواد التنوير في العالم العربي، وهذا يكفيها في مواجهة كل تيارات التخلف «ووصايا القبيلة وسلطة الموتى» على حد تعبيرها. ويرى الناقد أن الغمة حين انقضت عن وطن الشاعرة وتحررت الكويت هدأت نفس سعاد، فبعد أن كانت تلجأ للنص المطبوع أصبحت تلجأ إلى النص المغنى، فاكسب النص من خلال الأداء اللحني والغنائي تأثيراً أقوى ونفاذاً إلى أعماق المتلقي، والتواصل معه أينما كان ومتى شاء، بعد أن



في أمسية شعرية لها ببيروت أقامتها جمعية خريجي الجامعة الأمريكية والقاعة مكتظة بالحضور

ظل خطابها الشعري وقفا على النخبة العربية القارئة، أو التي يسعدها الحظ فتذهب لتسمع هذا الخطاب في أمسياتها حين تلقيه الشاعرة بنفسها. ثم عمدت بعد ذلك إلى نشر نصوص أشعارها الوطنية في ديوان مستقل هو «برقيات عاجلة إلى وطني» عام 1991، قدمتها كما هي باعتبارها وثائق جمالية وشواهد ابداعية على جريمة العصر، فلما أرادت أن تأخذ النصوص مكانها إلى الغناء والتلحين عمدت إلى أمرين: الأول حذف كل ما هو ذاتي وأناي فانتقلت بالنص من ردود الفعل إلى الفعل فاسترد عافيته الابداعية والثاني: التركيز على تقديم الجوهر الثابت والمتفائل لهذه النصوص بعد انتهاء ضجيج الحرب وصراخ المحاربين إلى كل انسان من أحياء الكويت وأصدقائها وإلى كل العرب الشرفاء عبر وسائل الاعلام، حتى يتسنى لهم استخلاص العبر والدروس من هذه الحرب، وحتى يستعيد كل كويتي ثقته بنفسه وبوطنه الذي دمرته جحافل العدوان. وبذلك تكون الشاعرة أخضعت نصوصها الشعرية لمتطلبات الغناء من ناحية ولسياقها التاريخي والانساني من ناحية ثانية، ولذلك حالفها النجاح في تجربتها الغنائية كما حالفها في تجربتها الشعرية»...

وتجدر الاشارة إلى أن اشعارها الوطنية وغير الوطنية غناها العديد من المطربين منهم ماجدة الرومي وعبدالله الرويشد وعبدالمجيد عبدالله والمطرب احمد الجميري، وعبادي الجوهر، والمطرب صالح الحريبي، ومنى عبدالغني والمطربة سوزان عطية، والمطرب الاماراتي علي عبدالستار، أصالة، هاني شاكر، رجاء بللميح، غاده رجب، وغيرهم كثيرون مثل المطربة الكويتية نوال التي خصتها الشاعرة بأكثر من أغنية من شعرها.



الحزن القومي شريان الأحزان يمزج الخاص بالعام!

كانت سعاد كما قالت هي عن نفسها مراراً «صديقة الأحزان» وما مر بها من أحزان شخصية وقومية ووطنية وهي المرأة المرهفة الحس والأم المكلومة الفؤاد والزوجة العاشقة والمحبة لزوجها حتى الفناء، والمواطنة المتعلقة بوردة البحر «الكويت» تعلق الطفل بأمه فإذا بهذه الأم تُخْتَطَف وتسلم وتتهب وتتعذب في أثنى ما تملك وما تتمنى. كان كل ذلك كفيلاً بتجريح هذه النفسية البالغة الرهافة والوجد والاحساس، إضافة إلى عمق انتمائها القومي بجانب هذا العمق الوطني، متمثلاً في مأساة فلسطين وفي نكسة 67، وفي موت الزعيم جمال عبدالناصر، الذي ارتبطت بفكره ودافعت بصلاية عن هذا الفكر، فإذا به يرحل تاركاً الساحة العربية في حالة من الهلع على فقده والضياع دونه، تقول في ذلك معبرة عن أحزانها في قصيدتها «من امرأة ناصرية إلى جمال عبدالناصر»

يا ناصر البعيد... قد أوجعنا الغياب

نمد أيدينا إليك كلما... حاصرنا الصقيع والضباب

نبحث عن عينيك في الليل...

ولا نمسك إلا الوهم والسراب

يا ناصر العظيم... أين أنت... أين أنت

فبعدك لا شعر، ولا نثر، ولا فكر، ولا كتاب

بعدك نام السيف في قرابه

واستنسر الذباب

هكذا هي تشتعل الجراح في قلبها ووجدانها وتنزف دما... ولكنها أيضا تمس وتر الابداع فتعزف على هذه الجراح شعرا وحرفا معبرا، وموقفا قوميا مساندا ومدافعا عن مبادئ تربت عليها وتؤمن بها سعاد، ولذلك أقول دائما أنها امرأة قوية ومصدر قوتها اقتناعها وإيمانها بما تفعل... وكثير ممن يتعرضون لجراح غائرة مثل بطلتنا، لو لم يكونوا واعين لأبعاد جراحهم ومتماسكين بما لديهم من فكر وإيمان، فإنهم ينهارون ويعزفون عن العمل وعن العطاء وعن بذل الجهد ويتملكهم اليأس والقنوط... لكن الشاعرة سعاد الصباح - وهذا من فضل الله عليها- كانت تمتص الصدمة الواحدة تلو الأخرى، وتستوعب بفكرها الشامل وثقافتها الواعية جراحها مهما كانت، وتحولها إلى طاقة عمل وقوة دفع توجه بها ما حدث وتتقلب الأمور من الصمت والحزن والسكينة إلى برنامج عمل وقوده دافعا للخروج من هذا النفق المظلم، ليس فقط بالشعر وسيف الحرف الناجع، وإنما أيضا بأي عمل أو مساندة تخفف المحنة وتمحو آثارها السلبية رويدا رويدا... ويتضح ذلك جيدا بعد جراحها الغائرة لفقد ولدها، كاد إعصار الحزن أن يصيبها في مقتل لولا فضل الله عليها وقوة إيمانها، وربما كانت هذه الفترة هي الفترة الوحيدة التي لم تكتب فيها حرفا واحداً من الشعر «منذ الوفاة عام 1973» وحتى صدور ديوانها عن هذا الجرح «إليك يا ولدي» عام 1982... لكنها أيضا وإن عزفت عن الإنشاد شعرا، إلا

أنها أنشئت علما ووجهت طاقتها للدراسة في لندن، وشغلت نفسها بالتحصيل العلمي، وخلال ثمانية أعوام مليئة بالجهد كانت قد انتهت من الحصول على الماجستير والدكتوراه، والعام الأخير بدأت تنزف جرحها على الورق وأنهت فيه الديوان.

هكذا نرى كيف كان الحزن هو الوجد القومي وهو القوة الدافعة للصمود والابداع...

أيضا عندما اعتصر الحزن قلبها بموت الزعيم جمال عبدالناصر وهو الصديق المقرب لزوجها وهي الصديقة المقربة من أسرته والمحبيب لفكرها ولأمانيتها القومية، حولت كل هذا إلى طاقة عمل وكتبت أكثر من قصيدة وهذا بعض من قصيدتها «عندما رحل ناصر»



أثناء حرب يونيو 1967 متطوعة في الهلال الأحمر المصري تؤدي ضريبة العروبة

مصريا أمي ويا همي، ويا خير المهاد

لمن الصرخة في الليل دوت في كل واد؟

لمن الدنيا ادلهمت وكسا الشمس السواد؟

وارتدى الصبح على مشهده ثوب الحداد

لا تقولي أسلم الناصر للموت القياد

بعد أن كان مَنى العُربِ وآمال البلاد

لا تقولي تعب الساهد من طول السهاد

إنه كان على أيّامنا خير عتاد

ارو يا تاريخ عنه، أنه بالروح جاد

إلى أن تقول:

ارؤْ عَنْهُ أنه قَرَبَ أيام الجهاد

لقيام الوحدة الكبرى وتحقيق المراد

سائرا في درب عمرو وطريق ابن زياد

ما أريد أن أوجزه أن الابداع لديها استقطب الجراح والهموم الانسانية،
وحولها شعرا وسيفا حاربت به سعاد وانتصرت بشعرها الصادق على
أحزانها.

أيضاً حملتها جراح المرأة العربية واحساسها العميق بالقهر الذي تعرضت له أختها في الانسانية إلى حمل همومها أينما ذهبت. ألم أقل دائماً عنها أنها امرأة تعرف ما تريد، وأنها قادرة على العطاء ودفع عجلة الحياة مهما كانت الظروف ومهما كانت الأحزان والجراح.

شريان الأحزان هذا تقول عنه الشاعرة في أحد لقاءاتها الصحفية:

«الحنن أروع الأصدقاء، وبقدر ما كانت عناية الله كبيرة ونعمه جليلة، فإن ذلك لا يحمي المخلوق من لحظات الانكسار. فقدت الوالدين في سن مبكرة من عمري، وعندما كنت في أوج الفرح والسعادة غاب عن حياتي بكرها «مبارك» في لحظة مأساوية تشبه حكايا الدراما الإغريقية، كذلك تحسسي العميق لجراح أمتي يضيف إلى زاد الأحزان في كل صباح قطرة علقم، وجاء الخنجر الثاني من أب ليفتح في عمري بوابة عميقة للحنن، فإذا كان الفرح بالتحجير، هاجمني غول الغياب من جديد برحيل صديقي وزوجي ومعلمي «الشيخ عبد الله» وترك في حياتي شريانا مفتوحا لنزف الأحزان، حزني الخاص وحزني العام، حتى أنني لا أعرف الحدود بيني وبين وطني لأنها متداخلة.»

لكن الشاعرة قوية بما يكفي لكي تستمر الحياة من حولها، وتعود متجددة من خلال الأبناء والأحفاد في مسيرة لا تتوقف لأنه على حد تعبيرها: «عبد الله المبارك موجود في ولديه محمد ومبارك وسوف نظل نحمل سيفه مدافعين عن عزة الوطن وكبرياء البيت الذي ننتمي إليه.»

ومن هموم الوطن إلى هموم عالمها العربي لم تتوقف الشاعرة طوال مسيرتها عن الصراخ بالشعر والكلمة السيف للفت النظر إلى أوجاع أمتها

العربية... كان ذلك مبكراً في حياتها فعندما كانت في الرابعة عشرة كتبت عن جميلة بوخيرد في كراس المدرسة، ثم كتبت عن الثورة الجزائرية وعن تونس، كما كتبت عن الشعب العراقي واستمر الهم العربي يرافقها طوال مسيرتها ممزوجة بالهم الأنثوي وهموم وطنها الكويت:

هذه الأرض التي تدعى الكويت

هبة الله إلينا

ورضاء الأب والأم علينا

كل دبوس إذا أدمى بلادي

هو في قلبي أنا

وهذا يفسر احساسها العميق بقضايا وهموم الوطن وجراحاته سواء الوطن العربي أو الكويت أو بنات جنسها!

من خلال اللجنة العليا لتحرير الكويت تقدمت الصفوف وقامت باستئجار إذاعة خاصة للدفاع عن قضية الكويت من إذاعة الدمام، وآزرت إصدار النشرات والكتب وعقد المؤتمرات دفاعاً عن وطنها في واشنطن ولندن والقاهرة وجنيف وبراغ بالإضافة إلى تحريض منظمات عربية على التحرك النشط ضد العدوان... وكتابة المقالات اليومية في الصحف العربية وصحف الكويت في لندن «القبس الدولي» و«صوت الكويت». وكان لها كما قلت برنامجان في إذاعة الكويت التي كانت تبث من الدمام أحدهما صباحي

بعنوان «صباح الخير يا ديرة الخير ياكويت» وآخر في المساء «الكويت في الصحافة العالمية» وبرنامج أسبوعي سياسي تحليلي عن الكويت كما سجلت شريط كاسيت بصوتها لجميع قصائدها الوطنية لنصرة قضية وطنها في أكتوبر 1990 في القاهرة وقامت بتوزيعه في الدول العربية، وهربته إلى العراق لايمانها بأن صوت المظلوم لا بد أن يسمع في كل مكان.



قهر الأنثى العربية وأوجاعها والقهر الاجتماعي

❖ هذي بلاد تكره الوردة إن تفتحت وتكره العبير

ولا ترى في الحلم إلا الجنس والسرير

«سعاد الصباح»

لخصت الشاعرة في هذين البيتين القهر الذي تعانيه المرأة العربية مختصرة
كيان المرأة كله في جسدها، وهو يدل على هاجس الجنس المسيطر على ذهن
المجتمع.

اختارت سعاد بكامل ارادتها أن تدافع عن المرأة، وأن تتحدى التخلف
والتقاليد البالية التي تسحق إنسانيتها في مجتمع ذكوري، خاصة أنها هي
لم تعان في هذا الجانب، ولم تذق لا في قصر أبيها ولا في قصر زوجها حرقه
الأنثى المفتري عليها، والمنكّرة الوجود والاسم في مجتمعا، كانت شأنها شأن
أي ذكر في أسرتها مدللة مكرمة منطوق اسمها وفعلها في أي مكان تذهب إليه،
وموشومة «من الوشم» مكانتها بالمسك والعنبر. لكن الانسان داخلها كان كبيرا
وجميلا فاستطاعت أن تحترق بلظى النار التي تشتعل داخل قلوب وأفئدة
النساء، واستطاعت أن تكون صوتهن الثائر وحنجرتهن الراضة...

والمحامي الأول والأخير عن قضايا بنات جنسها عامة... ومن لا

يعرف البيئة التي نشأت فيها وسعاد ومستواها الحضاري، لابد أن يتصور إذا قرأ شعرها الراض لخدلان الأنثى في عالمنا المتخلف، أنها كانت أكثرهن حرقة ومعاناة، وأنها قد ابتلعت القمع والدمع والظلم في حياتها، ولذلك هي تصرخ وتثور وتتحدى بهذا المستوى من الحس الشعري والنفسي الشعري الكبير، انظر ماذا تقول تعبيراً عن ذلك في قصيدتها لترى نبرة الألم والقسوة من ظلم الرجل تحرقها وتؤثر في وجدانها الشعري. تقول في قصيدتها «ثورة الدجاج المجلد» من ديوانها «امرأة بلا سواحل»:

سأعلن باسم سعاد، وهند، ولبنى، وباسم بتول

سأعلن باسم ألوف الدجاج المجلد

باسم ألوف الدجاج الملعب..

أني خنقتك نحت ضفائر شعري

وأني شربت دماءك مثل الكحول

ولن أراجع عما أقول

إلى أن تقول:

سأثار... للحائرات، وللصابرات وللقاصرات

اللواتي اشتريت صباهن...

مثل البذار... ومثل الحقول

سأصرخ:

باسم العذارى اللواتي

تزوجتهن... وطلقتهن...

كما تشتري وتباع الخيول

أيا عاشقا لا يفرق في لعبة الحب

ما بين لحم النساء... وما بين لحم العجول

لسوف أعيدك يا سيدي بكل احترام

كما جئتني بالبريد

فأست أحبك أنت وئست أحب حليب النياق

وطعم الثريد...

سأنسف هذي السماوات نجما... فنجما

وئن أتنازل عما أريد

نعم سعاد هنا يتداخل فيها الاحساس المرهف بمعاناة الآخرين، والمروءة التي تربت عليها والتي تؤهلها لكي يسرى في وجدانها هذا الظلم وهذه المعاناة علاوة على حسها الأنثوي الراقى، وقبل كل هذا موهبتها الشعرية التي قال عنها الناقد العربي يوسف الحاج مرة: «رغم ذكورية سادت على مساحة الشعر العربي من الجاهلية حتى القرن العشرين، فإن شرف الريادة في الشعر في هذه المرحلة كانت للمرأة الأميرة الشاعرة سعاد الصباح، التي جرأت باحتجاجها

الصارخ على الرجل، وفي ذلك تقول سعاد الصباح في إحدى قصائدها المفعمة
بالمأساة الأنثوية ونبرة الاحتجاج:

هذي بلاد لا تريد امرأة

هذي بلاد تختن القصيدة الأنثى

وتشنق الشمس لدى طلوعها

حفظاً لأمن العائلة

وتذبح المرأة إن تكلمت، أو فكرت، أو كتبت، أو عشقت

غسلاً لعار العائلة

كما أن سعاد بصوتها الشعري القوي استطاعت أن تحقق للمرأة حريتها
في الحب والتغزل بحبيبها، بعد أن كانت هذه الحرية من حق الرجل وحده،
وهو حق انتزعتة سعاد للأنثى بعد أن كان ينكره عليها المجتمع والقبيلة... ولا
أعتقد أن امرأة عربية غيرها استطاعت أن تمارس هذا الحق، وأن تنزع عن
الانثى هذه الرهبة من المجاهرة بحقها في الحب والكشف عن مشاعرها بغزل
صريح ولكنه جميل وراق وليس مبتذلاً، فهي تدافع عن حقها في الحب وليس
حقها في الجنس فلنقرأ نموذجاً من شعرها في هذا المجال:

تقول في قصيدتها «إلى واحد لا يسمى» من ديوان «في البدء كانت

الأنثى»:

أسميك

رغم اقتناعي بأنك لست تسمى

«حبيبي»

وأعرف أن اللغات تضيق عليّ

وأن قميصي يضيق عليّ

وأن سريري يضيق عليّ

وأن جميع المعاجم من دون جدوى

وأن حروفي مزرحة باللهيب

أسميك حتى أغیظ النساء

«حبيبي»

وحتى أغیظ عقول الصفيح

«حبيبي»

وأعرف أن القبيلة تطلب رأسي

وأن الذكور سيفتخرون بذبحي

وأن النساء سيرقصن تحت صليبي

إلى آخر القصيدة

ما أجمل التحدي حين يكون وراءه حق ونابع من قناعة فكر وحرية رأي، وهذا ما تملكه سعاد الصباح بمساحة يعجز أن يملأها غيرها.. وبصورة شعرية بالغة الصدق والابداع.

ثم تقول في قصيدة أخرى عنوانها «ثقافة» من ديوان في البدء كانت الأنثى»:

أنت أول مثقف عرفته

لا يعتبر الجنس مطلباً قومياً

ولا يتخذ من السرير منبراً للخطابة

وفي أغلب تلك القصائد التي تجاهر فيها الشاعرة بحق المرأة في الحب، تحاول أن تهدم الأسوار بين القيم البالية وبين هذه الروح الأنثوية المعتقلة، بين المرأة وبين حقها في اختيار من يريد قلبها، وهي تريد من الرجل ألا يعتبر الجنس مطلباً قومياً، لذلك هي تدافع عن قلبها وحريتها في أن تحب وليس عن حريتها الجنسية، بل إنها تعتبر الرجل الذي هدفه الأول والأخير الجنس رجلاً غير مثقف فكيف بالمرأة... ومن يتابع دواوينها كلها يعرف ذلك.

لأن قضية المرأة شغلتها واحتلت مساحة كبيرة من فكرها ووجدانها فإنها تحتل مكانة رئيسه بل مركزية في عالمها الشعري، ويظهر ذلك في أشعارها كلها فيما عدا ديوانها الخاص بالزوج الحبيب «آخر السيوف» والذي مزجت فيه بين الرثاء والمديح، وفيما عدا ديوانها «برقيات عاجلة إلى وطني»، فإن معظم الدواوين التي نشرتها تتمحور حول قضية المرأة وكل ما يتصل بعالمها المقهور.

وقد أدركت الشاعرة بحسها الأنثوي مع أنها لم تجرب القهر، أن ما تعانيه المرأة في العالم العربي يلخص إشكالية هذا العالم ومعاناته. وفي ذلك يقول الكاتب والناقد الدكتور محمد يوسف نجم في مجلد «منارة على الخليج»:

«بقيت سعاد هي هي في ثبات مواقفها ومواقفها وقناعاتها طوال العقدين الأخيرين من القرن العشرين، أما ما سيطراً من تحول على شعرها فيتعلق بتفاصيل اللعبة الفنية والهندسية للقصيدة، وليس عرضاً أو من باب المصادفة أن يتصدر ديوانها «فتافيت امرأة» قولان يعودان إلى اثنين من كبار مثقفي ومبدعي القرن العشرين، كان لهما، كل في مجاله الخاص، أثر كبير في تكوين الأذهان والأذواق لدى جيل بكامله، عنيت بهما الشاعر الفرنسي الشهير لوي أراجون والسينمائي الإيطالي الذائع الصيت فريديريكو فلليني، فيما يرى الأول «أن المرأة سوف تصحح أخطاء الرجل الأساسية»، يعتقد الثاني أن «المرأة تعرف عن الرجل أكثر مما تعرف عن نفسها، لأنها المُحتَوِيَّة وهو المُحتَوَى» وفي هذين القولين إشارة إلى فعل المرأة «أراغون» ومعرفتها «فلليني» وبين هذين الفعل والمعرفة تقف سعاد الصباح لتقول بالجرأة المطلوبة شعراً تتعدى فيه القول إلى الفعل، ولتجعل من القول نفسه نوعاً من الفعل، فهي تقول «لتغيّر» وليس لمجرد التعبير عن الجرح والتفيس عما تحسه من عذابات المرأة العربية المهورة، وهي تقول لتطالب بإعادة التوازن للمجتمع بالعدل بين قطبيه المرأة والرجل.

المظالم الاجتماعية والقهر الاجتماعي

لم يقتصر شعرها ولا مواقفها على الدفاع عن المظالم السياسية، ولا غضبها وتحديها للظلم النابع من احساسها الكبير والعميق بمآسي قومها الوطنية والقومية... لكن سعاد الشاعرة وسعاد المواطنة والعروبية الفكر والدم والهوية، مثلما تشعر بمآسينا القومية، وتناضل بالكلمة وبالموقف وبمالها للدفاع عن قضاياها، فإنها أيضا شديدة التأثر بمظالم الناس الاجتماعية وأحزانهم، ولا يدفعها ذلك للتضحية بمالها فقط وتقديم العون المادي لمن يحتاجه، كمساعدة الأسر العربية غير القادرة على تعليم أبنائها وتقديم العون المالي لعلاج المرضى على نفقتها، ومساندة الأسر المتعففة، لكنها أيضا تدافع عنهم بشعرها وبسيف الكلمة الصادقة، وفي ديوانها «أمنية» يلفت نظرها شقاء غاسلة الثياب وقساوة حياتها ومرارتها، فتحكي بلغة بسيطة شفافة هذه المعاناة، مستعينة بصور تصف وتحكي بدقة حالة هذه المرأة الكادحة لإطعام أطفالها تقول:

تطالعي بشكواها والحزن يصرخ في محياها

والماء يقطر من أناملها وتكاد منه تذوب كفاها

ومع الأذان تهب كادحة تشكو إلى الرحمن بلواها

ولا تتوقف الشاعرة عند وصف مأساة هذه المرأة بل تختم قصيدتها بحكمة استخلصتها هي نفسها «الشاعرة» وتعمل بها ولم تكف بمشاعرها النبيلة تجاه هذه المرأة البائسة فتقول:

ليس السعيد من اغتنى ليرى

مَنْ حوله يقضون أنفاسا

إن السعادة عند ذروتها

هي أن أعيش لأُسعدَ النَّاسَا

هذه هي سعاد الانسان التي لا يقتصر دورها على التقاط الصورة والدفاع عنها، بل تصف لك الدواء الناجع الذي تفعله دائما، ليس فقط بالمشاعر، ولكن بالعون والمساندة لتخفف عن الناس ذلك القهر وذلك الظلم الاجتماعي.

وفي شعرها الكثير من هذه المواقف: أنظر قصيدتها «وردة البحر» التي تشتعل حبا وانتماء للوطن، وتيها وفخرا بتاريخه، تطلب منها «الكويت» أيضا أن تكون المنارة للضائعين وأن تكون الوسادة للمتعبين وتكون كأية أم تعانق أولادها أجمعين، أي ان خلاصة السعادة عندها للفرد وللوطن أن يسعد أبناؤه.



متفرقات

قد كان بوسعي أن أتشكل بالياقوت وبالفيروز

وأن اتثنى كالملكات

قد كان بوسعي أن ابتلع القمع وأن ابتلع الدمع

وأن أتأقلم مثل جميع المسجونات

قد كان بوسعي أن أتجنب أسئلة التاريخ

وأهرب من تعذيب الذات

إلى أن تقول:

لكني خنت قوانين الأنثى

واخترت مواجهة الكلمات

«من قصيدتها أنثى 2000»

«ديوان في البدء كانت الأنثى»





في مهرجان لقاء الشعوب بنادي الصيد والفروسية
وفي مقدمة الحضور سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح
راعي المهرجان حفظه الله ويجانبه د. سعاد الصباح رئيسة المهرجان



مع نخبة من رجالات الكويت في حضرة صاحب السمو الأمير الراحل
الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح تغمده الله بواسع رحمته
ويرى سمو الأمير الحالي الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله

متفرقات

لمحة عن انجازاتها ومنازلها الحضارية!

حققت سعاد الصباح ما لم تحلم به امرأة في عالمها العربي من مجد وشهرة ونجاح فطارت شهرتها وأشعارها إلى شتى أرجاء الوطن العربي، ولقيت صدى لدى القراء حتى أصبحت أمسياتها تستقطب الكبار والصغار، النساء والرجال من محبي سعاد الصباح وحسب سعاد الصباح، العظماء والبسطاء، المثقفين وعامة الناس، ذواقة الشعر الجيد والذين جاؤوا للأمسيات لكي يحيوا سعاد الانسانية ذات المواقف



الشيخ مبارك العبدالله المبارك الصباح أثناء توزيع جوائز الشيخ عبدالله المبارك وسعاد الصباح

القومية والوطنية الرائعة، أو المواقف الانسانية الأروع تجاههم وتجاه قضاياهم... كل الأعمار والأذواق والمستويات تضمها هذه الأمسيات، حتى إن بعضها تمتلئ به القاعة على رحابتها فتجد العشرات من محبيها ومعجبيها خارج القاعة مستمعين، وقد كنت أحرص إذا أردت أن أجد مكانا واستمتع بقصائد أم مبارك، أن أذهب قبل الموعد بساعة على الأقل، لأجد من سبقني. هذا عن أمسياتها... أما مؤلفاتها ودواوينها الشعرية فتصل إلى ثلاثين مؤلفا أو يزيد منها، إحدى عشر مؤلفا في مجال تخصصها، الاقتصاد والنفط وأربعة عشر ديوان شعر بدءاً من «ومضات باكرة» عام 1961 و«لحظات من عمري» في نفس العام و«من عمري» عام 1963 و«أمنية» عام 1971 و«اليك يا ولدي» عام 1982 و«فتافيت امرأة» عام 1986 و«في البدء كانت الأنثى» عام 1988 «حوار الورد والبنادق» عام 1989 و«برقيات عاجلة إلى وطني» عام 1990 و«آخر السيوف» عام 1992 و«قصائد حب» عام 1992 و«امرأة بلا سواحل» عام 1994 و«خذني إلى حدود الشمس» عام 1997 و«القصيد أنثى والأنثى قصيدة» عام 1999، وديوانها «الورود تعرف الغضب» عام 2005. وقد نشرت إصدارات ودراسات عن سعاد الصباح وكتب ناقدة وفاحصة ومحللة لأعمالها الشعرية بلغت عشرين مؤلفا حتى الآن، منها: سعاد الصباح الشعر والشاعرة للأديب والدبلوماسي الكويتي فاضل خلف، وسعاد الصباح في فتافيت امرأة وهو بالفرنسية للدكتورة عزة ملك صدر في باريس، و«في البدء كانت الأنثى» غريزة الحياة وتجربة الاتصال عند سعاد الصباح بالفرنسية وأيضا صدر في باريس للدكتورة اسمهان



في أحد اجتماعات الأمم المتحدة مع الملكة نور الحسين والدكتورة رجاء المقدم

بدير الصيداوي، وقراءة مسافر في شعر سعاد الصباح للدكتور محمد التونجي صدر في الكويت، والتجربة الشعرية لسعاد الصباح بالفرنسية لبيار ريشا صدر في باريس، وسعاد الصباح شاعرة الألم مرة أخرى للدكتورة عزة ملك بالفرنسية في باريس، و«العزف على أوتار مشدودة» صدر في القاهرة للدكتور نبيل راغب، وقراءة نقدية في شعر سعاد الصباح لسعيد فرحات وبلال خير بك صدر في الكويت، و«سعاد الصباح شاعرة الانتماء الحميم» لفضل الأمين صدر في بيروت، ولغة التماس لحمود حيدر صدر في بيروت، وسعاد الصباح: «رحلة في أعمالها غير الكاملة» لعبد اللطيف الأرنؤوط في بيروت، وسعاد الصباح دراسة جديدة لبرهان بخاري بيروت، و«في ظلال الابداع» لنجوى حسن صدر في دمشق، و«النص والنص الغائب» للدكتور عبدالله مرتاض صدر في



مع السيدة سوزان مبارك والأمير طلال بن عبدالعزيز
والاجتماع التأسيسي للمجلس العربي للطفولة

الجزائر، و«سعاد الصباح شاعرة شتائية» لاسماعيل اسماعيل مروه صدر في بيروت، والبناء اللغوي والفني في شعر سعاد الصباح لتيسير رجب نسور صدر في بيروت، وكتاب «هدم وبناء» للدكتور مهنا خير بك ناصر بيروت، و«القصيدة أنثى والأنثى قصيدة» للدكتور فوزي عيسى القاهرة، و«القضايا والأدوات» للدكتور مختار أبو غالي وهو دراسة في شعرها صدر في القاهرة، ورده البحر وحرية الخيال الأنثوي للدكتور صلاح فضل، وهذا المؤلف العشرين عنها صادر عام 2003 في القاهرة. هذا علاوة على رسائل ماجستير ودكتوراه قدمت عن شعرها وأعمالها للعديد من الجامعات في العواصم العربية.

كما قلت في مقدمة الكتاب أن هذا النجاح الذي حققته سعاد لم تحققه امرأة في جيلها حيث ترجمت مؤلفاتها إلى أكثر من عشر لغات هي الانجليزية والفرنسية والصينية واليابانية والألمانية والأسبانية والبغارية والاكرازية والمالجكية والروسية والاطالية، وطبعت دواوينها الشعرية مرات وطبعات ثانية وثالثة حتى أن أحد دواوينها أعيد طبعة 9 مرات، هذا عن المؤلفات الصادرة منها وعنها، أما اسهاماتها الثقافية فكما قال الكثيرون قبلي وسيقول الكثيرون بعدي إنها أكثر من أن تعد أو تحصى فهي باختصار منارة ثقافية ليس فقط بدورها في الشعر الحديث ولا في الدراسات الاقتصادية كمتخصصة ومستشارة في الشؤون الاقتصادية سواء في مكتبها الاستشاري الذي تشرف عليه وتقدم فيه هي وعدد كبير من مستشاريها خبرتها للمجتمع الكويتي ومن يريد من المؤسسات الاقتصادية العربية والأجنبية، لكنها أيضا المستشارة لجلس الأمة الكويتي في مجال حقوق الانسان. هل تريد عزيزي القارئ أن تعرف المزيد حتى تعرف لماذا تدفع هذه المنارة العربية ضريبة كل هذا النجاح، إنه مكتوب على جبين كل مبدع وخاصة كل مبدعة في عالمنا العربي التعميس، بأن يدفع من دمه وأعصابه وشرائيبه ضريبة فادحة لهذا النجاح... ألم تقل الكاتبة المبدعة عادة السمان: «اكتشفت القسوة التي يتعرض لها الانسان حين لا يفشل» قالته في كتابها «تسكع جرح»... إن سعاد الصباح منارة ثقافية وحضارية ساهمت في العديد من المشاريع الثقافية والحضارية الكبرى، وساندت العديد من المؤسسات في الوطن العربي وفي مجال حقوق الانسان ما كان يمكن لها أن تكون فاعلة ومؤثرة من دون هذه المساندة، مثل المنظمة العربية لحقوق الانسان



الفنان المصري يحيى الفخراني يتسلم جائزة الإبداع الفني من د. سعاد الصباح

فهي أحد مؤسسيها قدمت لها مقرها في القاهرة، ومنتدى الفكر العربي بالأردن الذي يترأسه الأمير الحسن بن طلال، ومقره من ندى يديها، وجمعية تقدم الطفولة العربية، والعديد العديد من المؤسسات العربية والوطنية التي لا يتسع المجال لذكرها، ويأتي في مقدمتها مبرة المغفور له الشيخ عبدالله المبارك التي تترأسها الشاعرة، وتقدم من خلالها المنح الدراسية لمجموعة من أساتذة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة وفاء للكلية التي تخرجت منها سعاد، لكي يحصلوا على درجة الدكتوراه على نفقة المبرة. كما تقدم جائزة سنوية لأفضل كتاب منشور في لندن عن الشرق الأوسط، حيث يقام احتفال تشارك فيه سفارة دولة الكويت، وأقامت مكتبة باسم حبيبها ومعلمها الشيخ عبدالله المبارك في ثانوية الفروانية في دولة الكويت، وعشرات المراكز التعليمية والدينية والمساجد في الكويت والعديد من الدول العربية والاسلامية والافريقية، ودفعت الكثير الكثير للعشرات من الطلبة من أجل متابعة التعليم

في مختلف مراحلها خاصة الجامعية، كثيرات وكثيرون لا ينسون هذه المكارم للإنسانة سعاد الصباح.

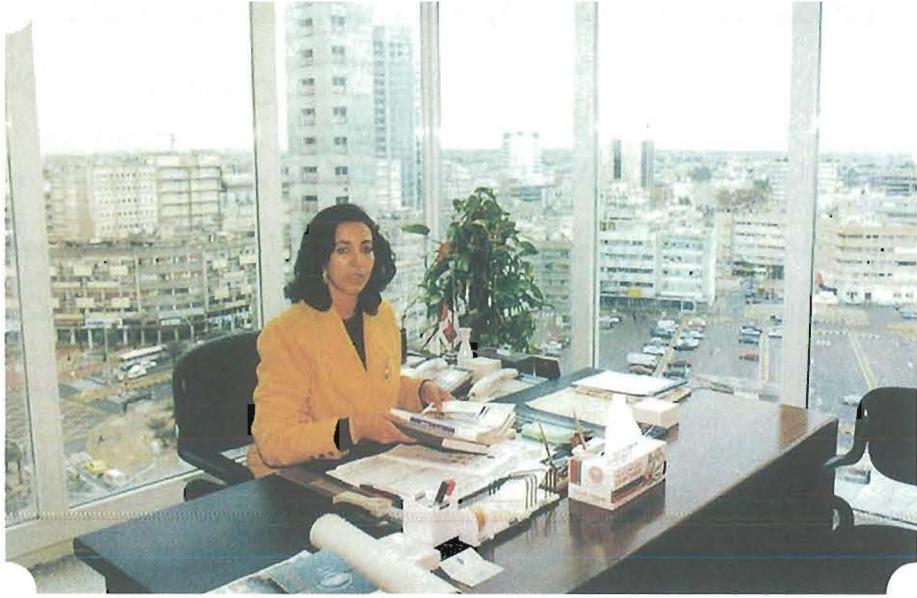
هذا بالإضافة إلى جوائز الشيخ عبدالله المبارك الصباح للإبداع العلمي وجوائز سعاد الصباح للإبداع الفكري والأدبي، وجوائز سعاد الصباح لإبداع متخرجي الجامعة الأمريكية في بيروت كل عامين وجائزة للمسرح بالتعاون مع مسرح المدينة في بيروت.

الرسالة رسالتها

وأيضاً تأثرت منذ صباها الباكر بوالدها الذي كان يعتزل الأسرة حين تأتبه من القاهرة مجلة «الرسالة» التي أصدرها محمد حسن الزيات: «لذلك ظلت الرسالة تعيش في أعماقها إلى أن أتاحت لها الأيام أن تعيد هذا التراث العربي الأصيل إلى كل الشعوب العربية، فطبعتها على نفقتها الخاصة حتى ترى فيها صورة لبداية عصر الثقافة العربية» كما ذكر الأديب الكويتي الاستاذ فاضل خلف في كتابه «سعاد الصباح الشعر والشاعرة».

كل هذا المجد وكل هذه الشهرة لم تأت من فراغ وكل هذه الأعمال الكبيرة والعظيمة التي وضعت لبناتها وبذلت في رعايتها ودعمها الكثير من الجهد والوقت والمال، بل إن بعض هذه الأعمال الثقافية لم تكن لتري النور أو تستمر لولا الدعم المادي والأدبي لسعاد الصباح.

هذه المنارات الفكرية والثقافية التي قامت ابنة الكويت البارة بمسؤولية



وردة البحر في مكتبها تشرف على إدارة أعمالها

كبيرة تجاهها، وكان ذلك بهدف دعم الانسان سواء في وطنها الكويت أو وطنها العربي من مشرقه إلى مغربه... كان طريق الانجاز هو الطريق الذي اختارته سعاد الصباح، وهو طريق وعر ومحفوف بالمخاطر خاصة في عالمنا العربي في وجود جوقة الحقد «الذين لا يعملون ويؤذيهم أن يعمل الآخرون» كما قال عميد الأدب الدكتور طه حسين في إهداء أحد مؤلفاته.



دار سعاد الصباح ورسالتها

وكان من أهم ما قامت به سعاد الصباح في مجال نشر الثقافة العربية بكل أشكالها هو تأسيسها دار سعاد الصباح لتكون رافداً للإبداعات الانسانية بتنوعها.

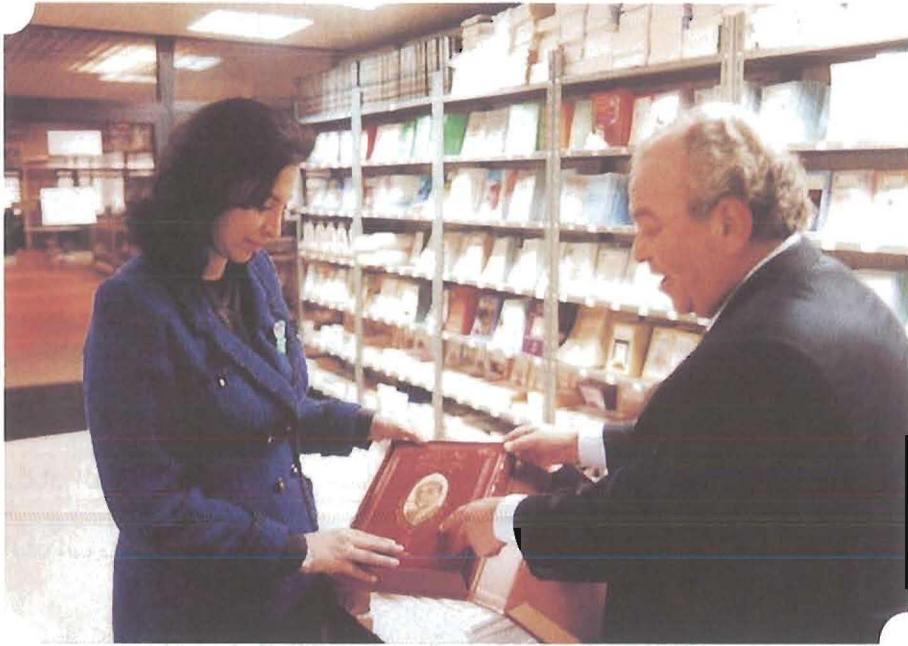
وتفعيل دور الأدب ليس فقط بتشجيع المبدعين الشباب العرب من شعراء وأدباء بل إفساح المجال لهم للممارسة وتأكيد مواهبهم وذلك بفضل جوائز سعاد الصباح للإبداع التي رصدتها في هذا الشأن، والتي طالت مبدعينا من الشباب في كل بلد من بلاد الوطن العربي.

وفي كتاب «سيرة ثقافية» الذي يشير لاسهامات الدكتورة سعاد الثقافية، تناول فكرة انشاء الدار التي كانت تتكون في رحم الإبداع قبل عقدين من الزمن،



أحد اجتماعات دار النشر بالكويت

ويرى د. حسن الإبراهيم عن يسار د. سعاد ود. يوسف نجم عن يمينها



المدير العام لدار سعاد الصباح الأستاذ محمد خالد القطمة
يعرض أحد أعمال الدار على صاحبها

ووضعت صاحبة الدار لها هدفا هو أن تكون رافدا للساحة الثقافية بالإبداعات الشبائية، وأن تهتم بالعلوم الإنسانية كافة، وقد وقف إلى جانب هذا المشروع الثقافي باقتدار نخبة من مثقفي العالم العربي فتشكل مجلس أمناء، ومجلس استشاري للدار من أصحاب الخبرة والاختصاص وهم: الدكتور عبدالعزيز حجازي والدكتور محمد يوسف نجم والدكتور شاكِر مصطفى رحمه الله والدكتور محي الدين صابر والدكتور الحبيب الجناحي والدكتور عدنان شهاب الدين والدكتور سعد الدين ابراهيم والدكتور حسن الابراهيم، والأديبان جمال الغيطاني ويوسف القعيد. وتولى منصب المدير العام للدار الكاتب والمفكر العربي المعروف محمد خالد القطمة الذي وضع في مقدمة اهتماماته أن تكون الدار كما أرادت لها صاحبها مظلة للمبدعين الكويتيين والعرب، وأن

تأخذ منحى شموليا في مجال الفكر الانساني، وتقديم ما من شأنه الارتقاء بأداء المؤسسات المعنية بثقافة الطفل.. كما كان لتقدير الدكتورة سعاد الصباح للرعيل الأول في الكويت وفي شتى أنحاء العالم العربي والذي امتد ليشمل الأساتذة عبدالعزيز حسين وابراهيم العريضي ونزار قباني والدكتور ثروت عكاشة والشاعر السعودي عبدالله الفيصل والاستاذ عبدالكريم غلاب من المغرب واهتمامها بتكريمهم في حياتهم كان ذلك مناسبة لإصدار الدار الكتب والبحوث والدراسات النقدية حول المحفّفى بهم، علاوة على اصدارات الدار لمؤلفات العشرات من المبدعين العرب وترجمة ابداعية أجنبية مميزة.

أيضا أصدرت الدار مجموعات من الأعمال الكاملة لكبار الشعراء العرب، وعدد كبير من المجموعات القصصية لكبار الكتاب والروائيين العرب، والعديد من العناوين والمؤلفات المهمة في مجال التربية والعلوم وكتب التراث، مما لا يتسع المجال لذكره، ولذلك تعتبر دار سعاد الصباح بحق بما لها من دور ريادي في نشر الأدب والعلوم والأعمال الانسانية منارة ثقافية امتدت اشعاعاتها إلى كل البلدان العربية، ولو أردت أن أفصّل ما تنشره الدار ليتعرف القارئ على دورها الكبير وتأثيرها الفاعل في الفكر والثقافة العربية، لما اتسعت كل صفحات الكتاب لهذا الكم الكبير من العمل الذي أشرفت عليه سعاد الصباح من خلال دارها.





مع العاملين في دار سعد الصباح بالقاهرة أمام مكاتب الدار



د. سعد تترأس مجلس الأمناء لدار سعد الصباح

ويرى من اليسار د. محمد جابر الأنصاري ود. محيي الدين صابر ود. ليلي شرف
والفنان حلمي التوني ود. ثروت عكاشة ود. سمير سرحان

أعمالها الخيرية لا سبيل لحصرها أو كشفها

❖ إشادة ثاني أكبر مركز صحي بالعراق

أما أعمالها الخيرية والانسانية فلا سبيل لحصرها لأنها متعددة سواء داخل الكويت أو خارجها ولا تحب الكشف عنها، خاصة إذا كانت لأسر متعففة أو أشخاص أعوزتهم ظروف الحياة، إلا إذا ذكروا هم أنفسهم هذا الفضل، وبذلك نعرف حقيقة هذا العطاء. كما أنه يشمل أرجاء الوطن العربي، وليس في الكويت وحدها، بل في شتى الدول العربية وبالمصادفة نعرف بإحدها أو بعضها إذا ما تحدثت الجهة التي تلقت المساندة، وهذا ما حدث عندما قرأت شكرا وإشادة من العشائر والحركات السياسية والوطنية والدينية العراقية لحكومة وشعب الكويت في مواصلة الدعم الانساني للشعب العراقي، وإشادة خاصة بالدور الانساني الكبير للشيخة د. سعاد الصباح «وذلك لتشييدها ثاني أكبر مركز صحي تخصصي في العراق لعلاج أمراض السكري والغدد الصماء. صرح بذلك الدكتور عبدالكريم العقيلي المشرف العام على المشروع المقام في منطقة العمارة في محافظة نيسان الذي أشار في حديثه عن المشروع إلى أنه افتتح في 23 من شهر مايو الماضي، ويشمل المركز عدة عيادات متخصصة لعلاج السكري وبعض العيادات المساعدة إضافة إلى أجهزة حديثة ومتطورة للكشف والعلاج طبقا لأحدث الطرق التكنولوجية المتطورة، وأكد العقيلي أن مساهمات الشيخة الدكتورة سعاد لا تعد ولا تحصى فهي قد نذرت نفسها لخدمة الانسان».



امتلاك الإرادة والأدوات لتوصيل رسالتها!

كانت تملك فكرها وأدواتها من علم وابداع لتوصيل رسالتها التي اختارتها منذ صباها الباكر وهي أن تكون بجانب الانسان، ومن أقدر منها في التعبير عن المرأة وجراحها... لذلك لم تكن الشهرة والمجد هما الدافع لكل هذا الجهد وهذا الانفاق المادي، فهي قادمة من رحم المجد والثراء وأخبارها واسمها وسكناتها وتحركاتها تغطيها الجرائد والمجلات، من دون الشعور ومن دون الأمسيات والانجازات الثقافية. لذلك أستغرب ويستغرب كثيرون، هذا النقد الجارح وهذا الكلام وهذه التفاسير والأقاويل والتقولوات التي خص بها هؤلاء الحاقدون في أبسط وصف لهم، هذه المقالات التي سطرت والحرب الاعلامية التي ظلت وراءها وأمامها وهي لا تلتفت إليهم. حقيقة واضحة أظهرتها هذه الحملات أن هذه الشيخة وهذه الشاعرة وهذه الانسانة ماضية في طريقها الذي اختارته، صحيح أن مثل هذه الحملات المختلفة والتي يتستر خلفها الحاقدون معروفة ومعروف ضراوتها، كلما كان النجاح والابداع كبيرا وعظيما، لكن، لماذا هذه الحرب التي تستمر دوما في مجتمعنا العربي، والتي تطل المبدعين والناجحين الذين لهم دور ومكانة في مجالات الثقافة والفكر وخصوصا النساء؟.. اذكروا لي امرأة مبدعة لم تتعرض لإشاعات كاذبة وافتراعات مفرضة، هذا يحدث فقط في عالمنا العربي، وممن؟ من النساء خاصة للمرأة المبدعة أو الناجحة أو الحائزة على تقدير واحترام المجتمع!!!

والأسماء كثيرة لا يكفي المجال لسردها، لكن سعاد الصباح بقدر مكانتها وراثتها العائلي والمادي والعلمي والحضاري بقدر ما كان غضباً عارماً لأن معظمه صدر عن النساء خاصة، وكان الأجدر بهن أن يكن خير مدافع عنهن جعلت قلمها مغموساً في آلامهن، وشعرها صوتاً حراً لقضاياهن... لا أدري!! المفعج والمؤلم حقا... أن النقد كان يطال صرفها وأنفاقها لا على المجوهرات والرحلات والسهرات بل على هذه المنارات الثقافية التي أضاعت بها مجتمعها العربي والكويتي!! وقد كانت على حق تماماً وبالغة الصدق حين سألتها أحد الصحفيين العرب عن أموالها التي تغدقها على مؤتمرات ثقافية وأعمال ثقافية كنوع من البذخ والإسراف وبحثاً عن الشهرة. أي شهرة هذه التي تنفق عليها سعاد الصباح من أجل أن تحصل عليها؟ وهي التي يشتعل بريق الشهرة من اسمها ومكانتها الشخصية كامرأة فاضلة، وامرأة تجلس على قمة الشهرة بانتمائها العائلي والزوجي وكل شيء... لماذا تحتاج لكي تنفق وتبني مادام لديها كل هذا البريق؟! لذلك كان ما قالتة جميلاً وصادقاً أجابت:

«وهل المفروض أن أبعثرها على طاولات القمار - ثم أضافت - وإذا لم أساند مؤتمراً ثقافياً بيني وطني، فهل المفروض أن أدعو لمؤتمر يساند... الإرهاب والتخلف؟!»

وعلى حد تعبير الكاتب علي المسعودي في كتابه «سعاد الصباح حمامة السلام» يقول: لم تكن مسيرتها مفروشة بالورود... فالحزن تعتبره أروع الأصدقاء، لم يفارقها منذ الصغر، رغم الابتسامة الرقيقة التي تواجه بها الجميع، والكلمات المرححة التي لا تتخلى عنها، فقد فقدت الأبوين ثم الابن

البكر ثم بعد ذلك الزوج، كما أنها على المستوى الأدبي لم تهدأ محاولات النيل منها بكل الأشكال والطرق، اعتبروا المال تهمة ضدها، وقالوا عن «صدقها وصراحتها» في طرح القضايا بأنه: «خروج على التقاليد» و«تمرد على المألوف» وترد عليهم الشاعرة بأشعارها وقصيدتها «فيتو على نون النسوة» أبلغ رد تقول:

يقولون: إن الكتابة إثم عظيم...

فلا تكتبي

وإن الصلاة أمام الحروف حرام

فلا تقربي

وإن مداد القصاصد سم

فإياك أن تشربي

وها أنذا قد كتبت كثيرا

وأضمرت في كل نجم حريقا كبيرا

فما غضب الله يوما عليّ

ولا استاء مني النبي...

يقولون إن الكلام امتياز الرجال

فلا تنطقي!!

وأن التغزل فن الرجال

فلا تعشقي!!

وأن الكتابة بحر عميق المياه

فلا تغرقني..

وها أنذا قد عشقت كثيرا...

وها أنذا قد سبحت كثيرا...

وقاومت كل البحار ولم أغرق

إلى أن تقول:

يقولون: إن الأنوثة ضعف

وخير النساء هي المرأة الراضية

وإن التحرر رأس الخطايا

وأحلى النساء هي المرأة الجارية

يقولون: إن الأدبيات نوع غريب

من العشب... ترفضه البادية

وإن التي تكتب الشعر...

ليست سوى غانية!!

وأضحك من كل ما قيل عني

وأرفض أفكار عصر التنك

ومنطق عصر التنك

وأبقى أغني على قممتي العالية

وأعرف أن الرعود ستمضي...

وأن الزوابع تمضي

وأعرف أنهم زائلون

وأني أنا الباقية

سعاد الصباح

«من ديوان فتافيت امرأة»



انسانيتها البالغة الحضارة!

لعل أبرز ما في شخصية الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح ليس شعرها ولا ثروتها ولا علمها على ما في كل ذلك من قوة وشهرة وقيمة، لكن انسانيتها ومروءتها التي تغلف كل أعمالها وأفعالها، وهذا القول ليس فيه مبالغة أو نفاق، لكنك لو سألت أي مواطن كويتي بماذا تصف الدكتورة سعاد لقال لك أول كل شيء انسانية... ولو سألت من عرفوها وخبروها واقتربوا منها وقدروا علمها وشعرها لقالوا لك قبل كل شيء انسانية وحضارية بكل ما تحمل الكلمة من معنى وإليك صورة مبسطة عن هذه الصفة لديها:

كانت سعاد الصباح أثناء محنة الغزو شأن كل الشعب الكويتي تنزف على وطنها المختطف. كان الفعل خارجاً عن التصور، والأفعال التي تحدث على أرض الكويت الغالية ينفطر لها القلب، كانت توجعنا نحن الذين عشنا على هذه الأرض واضطررنا للخروج هرباً من هولاء العرب بعد الغزو بأسابيع، وشاهدنا بأم أعيننا المحنة في بداياتها وكما كانت قاسية، فما بالك بالتعذيب والتكيل الذي لحق بشعب الكويت الذي بقي على أرضها الغالية... كنا نبكي ونحن نسمع أخبار ما يجري في داخل الوطن المسلوب والمنهوب والمغتصب زوراً وبهتاناً، نحن الغرباء الذين ربطتنا لقمة العيش في الكويت، فما بالك بمواطنين وبمواطنة بمستوى الحس الوطني لسعاد الصباح؟ كنت أراها في اللقاءات والأنشطة التي أقامتها الجالية الكويتية في القاهرة. وكنت أسمع كلماتها الصارخة من

اذاعة الدمام يوميا... وكنت أعرف جيداً كيف تواجه امرأة مثلها مشحونة بالوجد والانتفاء الوطني، وشاعرة رقيقة تحفر الأحداث الكبيرة في وجدانها أخاديد ويطلها نرف كبير، وبالطبع كانت أم مبارك وحننها البالغ والشفيف يقلقني عليها، فكانت على رأس قائمة الأسماء التي أتواصل معها لأطمئن على صحتها، فقد كنت أعرف أن الحدث ثقيل عليهم بكل المقاييس، وحين تأتي في عمل أو مشاركة في أنشطة تقام في القاهرة، كنت بحكم اهتمامي الاعلامي وارتباطي الطويل بالاعلام الكويتي أشارك معهم وأحرص على رؤيتها.

كان هذا هو الحال الذي أصبح عليه الكويتيون في تلك الحقبة البالغة القتامة من التاريخ العربي، فما بالننا إذا كانت حرارة الانتفاء عالية والنرف الوجداني العربي بالغ العمق... والصدمة كبيرة بحجم إيمان بطلتنا بالعروبة والأخوة العربية!؟

وها هي تدفع وأهلها الثمن، لكن بالرغم من هذه الصدمة لم تفقد انسانيتها وأشهد أنها كانت تفكر في أوجاع وهموم غيرها من البسطاء وذوي الحاجة حتى ووطنها مغتصب ومختطف وهي على هذا الحال.

رمح افريقي شديد الصلابة

مثل رمح افريقي شديد الصلابة تزيدها الجراح تحديا وقوة، إلا أنني كنت قلقة عليها وعلى كل أحبائي الذين عرفتهم كي لا يحطم معنوياتهم ذلك الزلزال الكبير... في جو كهذا هل يمكن لانسان فقد وطنه وتصله

أخبار هذا الوطن وأهله المحاصرين بجنود صدام، ينكرون بهم ويصادرون أنفاسهم، هل يعقل أن يفكر انسان لديه هذا الجرح الغائر في جراح غيره أو مصائب هذا الغير الصغيرة بالنسبة لمأساته هو الكبيرة بكل المقاييس؟ نعم كان ذلك يحدث مع سعاد الصباح... أذكر أنها خلال تلك الزيارات للقاهرة للمشاركة في أمسية شعرية أو مناصرة لقضيتها الوطنية بالمشاركة في إحدى التظاهرات الوطنية، كانت تتحين الفرص لتواسي من تعرفهم بمالها دون منة أو جرح، وقد ذكرت لي إحدى الصديقات التي كانت تقيم بالكويت حتى الغزو، أن سعاد الصباح كانت تعرف ظروفها، وأنها تركت الكويت مع أسرتها وهربت من جحيم الغزو، وليس عندها ما تستر به عودتها القسرية إلى الوطن، اتصلت بها الشاعرة وطلبت منها بأدبها ورقتها المعروفة ان تسدي لها خدمة، بأن تشتري لها بعض الكتب التي تحتاجها من مكتبات القاهرة، وبالطبع رحبت الصديقة وحملت الكتب إلى الشاعرة القادمة ليوم تلقي قصائدها من أجل الوطن في القاهرة، وإذا بالشاعرة تقدم لها مساندة مالية كبيرة وكأنها جزاء على خدمتها، هكذا تشرك سعاد المحتاج في مالها دون أن يطلب، ومئات الحالات بهذا الأسلوب... ويعرف الكثيرون من المقربين أسلوبها في العطاء ورقة هذا الأسلوب.

لسعاد الصباح طريقة تماثل نبلها الانساني، فهي تقدم لك خدمة كبيرة أو مكرمة وكأنك أنت الذي تقدم لها المعروف أو المكرمة... وغالبا ما تلحق غلاف مكرمتها التي لا تعرف يمينها ماذا أعطت شمالها بكلمة إلى الأخ الكريم فلان حفظه الله...

سعاد تفعل هذا لوجه الخالق وليس لوجه المخلوق وكثيرا ما كان الحساد

يلومونها على كرمها هذا وعلى مشاركتها السخية للأخرين في ثروتها، الذي كانوا يسمونه تذبذباً وليس انسانية، فكانت ترد بهدوء «نحن الأغنياء مجرد ساعي بريد أعطانا الله هذه النعم لنوصلها لعبيده، فكيف نخون الأمانة ونستأثر بها وحدنا؟»... جاء هذا في أكثر من حديث رداً على سؤال بهذا المعنى، وأذكر أنني مرة استعرت كتاباً من مكتبتها وكنت دائماً اجروء على ذلك بعد إذنها، ووجدت داخله إيصالاً من إحدى مؤسسات المجتمع المدني الفاعلة التي كانت سعاد تساند مشروعاتها الثقافية.. كان ايصالاً بمبلغ كبير فقلت لنفسى بارك الله فيها، وحين أعطيتها الإيصال شعرت بأنها غضبت، فقد تغير وجهها... لكنها لم تقل شيئاً، ولأنني أعرف أن مشاعرها واضحة لا تخفيها في الصفاء وعند العاصفة... لذلك رحلت أتساءل ماذا حدث حتى تغير هذا الصفاء؟ وجاءني الجواب من أحد المقربين منها... أنها لا تحب أن تعرف شمالها ما تنفقه يمينها... وتأكدت من ذلك حينما كنت أعرف بحكم مهنة المتاعب أنها أسست منظمة أو قدمت عوناً لمشروع ثقافي أو انساني أعرفه من غيرها وأثني على جهودها فكانت تقول أرجوك لا تذكرني هذا العون ولا مقداره لأنني أفعله عن قناعة وليس للنشر ولوجه الله لا لوجه الصحافة... وتضحك.

المروءة مرة أخرى

قصص المروءة والشهامة والانسانية التي تتميز بها شخصية سعاد الصباح كثيرة، وكلها وان اختلفت التفاصيل تعبر عن معنى واحد، أن هذه الشيخة

الفاضلة تعيش من أجل الناس وتستخدم كل امكاناتها لإسعادهم، وتجلى ذلك أثناء الغزو العراقي الظالم لوطننا وتجلى قبل ذلك وبعده.

لكن كما قلت حين يضيع الوطن لا أحد يستطيع أن يفكر في شيء آخر خلافا لهذه الكارثة، لكن سعاد الصباح كانت تفعل... أذكر كانت هناك أسرة عربية كانت تقيم في الكويت وابنها يتعلم في الغرب وانقطعت بالأسرة السبل للحصول على مصدر رزقها في الكويت... كانت الشاعرة تعرف ذلك وحين حدث الغزو اتصلت بأم الطالب في بلدها، ورجتها أن تسدي لها معروفا بأن تعطياها اسم الجامعة التي يدرس فيها ابنها وفي أي سنة من سنوات الدراسة واسمه بالكامل لأنها تحتاج إلى بعض المؤلفات الهامة الصادرة حديثا في هذا البلد، وهناك من يسافر إليه ليملك يوم واحد ويكمل رحلته ولا وقت لديه لشراء هذه المؤلفات، تقول الأم «سررت بسماع صوتها والاطمئنان عليها في تلك الظروف، ورحبت بأن يؤدي ابني أية مهمة لهذه السيدة الرائعة... ما هي إلا أيام قليلة حتى اتصل بها ابنها وقال لها ان الدكتورة سعاد ارسلت من يدفع له مصاريف الدراسة الجامعية لهذا العام وأنها بعدما علمت من الجامعة قيمة الرسوم الجامعية أرسلت على عنوانه الشخصي مبلغا آخر يعيش منه كان بالنسبة إليه وإلى أسرته نجدة كبيرة وإنقاذا لموقف لم يكن من السهل التغلب عليه. وهكذا دوما تجني سعاد الصباح ثمرة عونها الانساني وموقفها النبيل دعوات الكثيرين، حتى أن سيدة كويتية كانت من رواد الديوانية الخاصة بالشاعرة وهي امرأة فاضلة ومتعفة، ويبدو أن يد الندى والخير في القصر الأبيض قد مستها، كانت تجلس بجوارى مرة مالت عليّ وقالت حمدية «ما اسم أم الدكتورة سعاد لأنني استحييت ان أسألها، قلت

يا سيدتي أنت أولى مني بالمعرفة ولكني أعرفه، استحييت أن أسألها عن سر هذا السؤال، وإن كنت كامرأة تمارس الدعوات لأحبائها وتعرف أن الدعاء يرفق فيه اسم فلان أو فلانة بأمه أو أمها، قالت رفيقة الديوانية بصوت ملؤه المحبة والبراءة: لا تستغربي السؤال؟ لأدعو لها» هكذا كانت القلوب حولها ومعها تقديرا لشخصها ومحبة في إنسانيتها... وفي الكويت يعرف القاصي والداني ذلك عن الشاعرة، وما تسجيل ذلك إلا تحصيل حاصل لما يحدث في الكويت، ولكن التعرض لمسيرة امرأة شاعرة مبدعة بشتى جوانبها الانسانية وغير ذلك يستدعي أن نلمس هذه الصفة، وأن نقرب أكثر من شخصية الشاعرة ونفسياتها الجميلة التي صورتها بشعرها أصدق تصوير فيما تريده أن يكون عليه وطنها الذي تحب أكثر من نفسها. تقول في قصيدتها الرائعة «وردة البحر» وفيها الكثير الكثير من الانتماء والتعلق بالوطن والتمني الكبير له بالخير والتقدم تقول:

كويت، كويت، كويت، أشيلك حيث ذهبت حجابا بصدري

أشيلك برعم ورد، بأعماق شعري

أشيلك في القلب وشما عميقا

لآخر... آخر... أيام عمري

إلى أن تقول:

كويت، كويت

أحبك... كالشمس تعطين ضوءك للعالمين

أحبك... كالأرض تعطين قمحك للجائعين

وتقتسمين الهموم مع الخائضين...

وتقتسمين الجراح مع الثائرين

تماما مثلما هي تقتسم الهموم والجراح وتعطي من نعم الله لأصحاب
الحاجة والمعوزين والمرضى فهي نموذج لوطنها وفكره فكروها وهمومه همومها،
لذلك كانت الكويت وردة البحر في قلبها وقصائدها، وأيضا ابنتها الشاعرة
«وردة البحر» مثل أمها.



الضريبة والتمن الفادح

دفعت الشاعرة سعاد، والمواطنة سعاد والانسانة سعاد ثمنا كبيرا وضريبة فادحة من أعصابها ونفسياتها نتيجة ما وصلت إليه من شهرة ومن مجد، ونتيجة تصديها للدفاع عن المقهورين خاصة نساء القبيلة ضد ذكورها. ساندت الشعب العراقي أثناء حرية مع ايران مثل كل مواطنيها الذين خدعوا في حارس البوابة الشرقية، وشأن كل الشعوب العربية والأنظمة العربية بما فيها النظام الكويتي الذي قدم كل العون والسند للعراق، لكن الأقلام الحاقدة التي لم يعجبها كل هذا الضوء حول الشاعرة التي هي أصلا مولودة في بؤرة الضوء، ولا كل هذا التائق والانتشار لشعرها وقلمها ومواقفها الانسانية، راحت تسطر الصفحات وتدبج المقالات، وتهمز وتلمز فوق السطور وتحت السطور، لتتال من مكانتها وتتقول عليها، وهي صامدة وثابتة وأذكر أن الكثير من الشرفاء انبروا للدفاع عنها وهي لم ترد على مقالة واحدة، والشيء المؤسف أن أكثر الذين كتبوا يهاجمونها كانوا من النساء، وكان ذلك طبيعيا، لأن المرأة التي لا موهبة لديها ولا فكر ولا رسالة ماذا تفعل سوى أن تحقد على غيرها من الموهوبات، وسوى أن ترمي المحصنات بحجارة حقدتها وغيرتها. وأذكر أن ذهابها إلى المرید كان مثار حرب اعلامية ضد الشاعرة التي ناضلت بشعرها، وقالت كلمتها عن الطغيان والطغاة من على منبر المرید ذاته «المرید مهرجان شعري كان يقيمه النظام العراقي سنويا ويحضره

كل الشعراء العرب خاصة الكبار يلقون أشعارهم ويطرحون أفكارهم» ولم أجد أفضل مما قاله الكاتب العربي المقيم في الكويت الاستاذ محمد خالد القطمة في أحد أحاديثه الصحفية لجريدة القبس الكويتية رداً على هذا الهجوم وهذه الافتراءات التي وردت في مقال كتبه الباحث والكاتب الكويتي حامد الحمود في جريدة الحياة التي تصدر في لندن يقول الاستاذ خالد: «لقد ذكر الكاتب والباحث الكويتي الاستاذ حامد الحمود: «أن الدبابات العراقية حين دخلت الكويت لم تفرق بين من عرفوا بطش صدام لشعبه في مراحل مبكرة، ومن ظلوا في غفوة لم يصحوا منها إلا عندما اخترقت الدبابات العراقية شوارع الكويت في 2 أغسطس 1990 ومنهم سعاد الصباح، والباحث والكاتب الكويتي يعرف، أو يُفترض أنه يعرف أن الذين خدعوا بقومية معارك صدام حسين ليسوا الأقلية من أهل الكويت والخليج العربي والعالم العربي بأسره، بل هم الغالبية العظمى، ولم يكن أصحاب الخديعة الكبرى هم الشعراء والأدباء والصحافيون وأصحاب الديوانيات في الكويت وحدهم، وإنما كانت الحكومات الخليجية كلها ومن دون استثناء تقف مؤازرة لصدام حسين في حربه ضد إيران، ولم نقرأ كلمة واحدة لكاتب أو باحث كويتي اتخذ موقفاً مناهضاً لسياسة صدام تلك إلا بعد الغزو والتحرير وليس قبله أبداً».

واستطرد الاستاذ خالد: «النظام العراقي نجح في ترتيب أوراق حربه لتبدو وكأنها حرب تحرير قومي في أعين كل الأنظمة العربية عدا دمشق، وفي أعين كل الشعوب العربية بما فيه الشعب السوري، فلماذا يقتصر الغمز من فتاة مؤيدي صدام في تلك الحقبة على الشاعرة سعاد الصباح.

«لقد عشت أيام الحرب بكل تفاصيلها وأعرف مواقف الكويتيين والعرب منها، وأعرف أسماء الكثيرين ممن تبرعوا لدعم قادية صدام ومن باع ذهب الأهل ليقدمه للسفارة العراقية هبة لمعركة «البوابة الشرقية» كما أن الصحف والمجلات تحفظ جيدا آلاف المقالات التي نشرت تأليها لصدام حسين، وليس بينها مقال واحد بقلم سعاد الصباح، والتي حصرت موقفها إشادة بحضارة العراق والشعب العراقي وبالجيوش وبالمرأة العراقية».

في المرید نعت الحريات

و حين نذكر أيام المرید - والحديث مازال للكاتب العربي محمد خالد القطمه - يتعجل البعض في التوهيم والإيهام بأن شعر سعاد الصباح في المرید كان رافده الثقايف وصوته الأعلى، ونسي هؤلاء جميعا ولست منهم، أن سعاد الصباح وحدها وقفت على منبر المرید لتقول:

ما الذي نفع في المرید صباحا ومساء؟

وعلى أي مقام سيغني المطربون؟

وعلى أي سرير لغوي سينام النائمون

إعطني شبرا من الأرض يسمى وطنا

مابه مشنقة أو مخبرون

إعطني شبرا من الأرض يسمى وطنا

لا تغطيه المنايف والسجون

وصل السيف إلى الحلق

ومازال لدينا شعراء يكتبون

وصل السل إلى العظم

ومازال لدينا شعراء يكتبون

ويقولون على الأوراق ما لا يفعلون

ألا يفهم أبسط البلغاء لا البلهاء أن العراق هو شبر كبير من الأشبار التي تسمى وطننا، وكانت سعاد الصباح تنعى فيه الحريات والانسان بينما يكذب شعراء المرید ويقولون على الأوراق ما لا يفعلون!!

وبعدها امتعتت عن حضور أيام «المرید» بينما استمر كل الشعراء والأدباء في التمتع بتلك الأيام، حتى الهزيع الأخير من ليها الطويل... ولن أطيل!»

انتهى المقال... وهو لا يحتاج لتعليق حيث كان هذا حالنا جميعا تجاه حارس البوابة الشرقية، وكانت هذه القصيدة هي الوحيدة التي قيلت في المرید في معقل ووكر مصادرة الحرية وسلب حقوق الانسان.

ورغم أن هناك أصوات مستعرة تعالت تجاه سعاد الصباح، فإن سعاد لم تلتفت وراءها لهذه الأصوات الجارحة ومضت على حد تعبير الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي: «أمشي في الطريق لا توقفني علامة»، وكما قالت سعاد عن نفسها في شعرها:

سيظلون ورائي بالبواريدي ورائي

والمجلات الرخيصات... ورائي

فأنا أعرف ما عقدتهم

وأنا أعرف ما موقفهم

من كتابات النساء

غير أنني ما تعودت بأن أنظريوما للوراء

فأنا أعرف دربي جيدا

والصعاليك على كثرتهم

لن يظالوا أبدا كعب حدائي

لن ينالوا شعرة من كبريائي

فلقد علمني الشعر بأن أمشي

ورأسي في السماء

أنصفها الكثيرون

ومثلما هاجمها الكثيرون والكثيرات فلقد أنصفها أيضا الكثيرون وكتب عنها شعرا ونثرا كبار الكتاب، وسأفرغ فصلا لذلك أختار فيه بعضا من كلمات تقديرهم «البعض» لأن المجال لا يتسع لكل من أحبها وكرمها وكتب فيها شعرا، وهذا ليس من قبيل المبالغة أو «مسح الجوخ» كما نقول نحن المصريين «أو النفاق»، ومن يريد أن يتابع هذا الكم من الكتابات التي وصلت إلى مائة شخصية مهمة من أنحاء الوطن العربي، ومن كبار الكتاب فليقرأ الكتاب الضخم والفخم الذي أصدره عنها المنتدى الثقافي المصري «من جزئين» الذي أشرف عليه الدكتور عبدالعزيز حجازي رئيس وزراء مصر الأسبق.



مع سمو ولي عهد البحرين الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة

وقام باعداده وتحريره الدكتور محمد يوسف نجم واسم الكتاب «منارة على الخليج» الشاعرة سعاد محمد الصباح. وهو فخيم في المضمون والاخراج وفخم أيضا في المستوى الطباعي تقديرا لسعاد الصباح ذات الهمة والجهد والرصيد الفاعل في مجال الثقافة العربية... ولأنني اطلعت على هذا المؤلف القيم... أشعر الآن وأنا اذكر ما حواه من حقائق وما جمع من مادة قيمة، بأنه سيكون المرجع الأول بجانب المؤلفات الأخرى القيمة التي تابعت وحللت وقيمت أعمال سعاد الصباح الانسانية، وأعمالها في مجالات الفكر والثقافة وحقوق الانسان، وأعمالها في مجال الابداع الشعري... وأحسب أنني أشعر ببعض الحياء بعد تذكري لهذا المؤلف وأنا أقلب صفحات مؤلفي.



تكريمها للكبار وثمره العطاء الكبير

❖ «القادر يفعل والعاجز يعجز»

الكاتب الانجليزي برناردشو



الاعتراف بفضل أصحاب الفضل

تكريم بمستوى قامتها!

أعتبر أن ما قامت به سعاد الصباح في مجال الثقافة والأدب والفكر العربي شيء مذهل ومثار فخر وتقدير وإعجاب لكل من يعرف تنوع وثراء هذا العطاء، لكن من وجهة نظري يظل تفكيرها في تكريم الرواد الكبار في حياتهم، هو أكثر هذه الأعمال روعة وصدى، ذلك لأنها لم تكن مجرد احتفالية تقدم فيها الهدايا وتلقي فيها الخطب والكلمات وتنتهي، لكن الحرص على أن يكون تكريم الرواد في حياتهم أمد الله عمرهم، وإصدار مؤلف كبير عنهم



أثناء تكريم الأستاذ عبدالعزيز حسين رحمه الله بالكويت في منزله ويرى بجانبه سليمان ماجد الشاهين وشاكر مصطفى وعبدالرزاق البصير وخلفها جاسم المطوع

يستكتب المفكرين والأدباء والأصدقاء الذين عاصروهم وعرفوهم وغاصوا في فكرهم، هذه الاصدارات القيّمة التي رافقت هذا التكريم كانت في مستواها كمادة وتفصيل واخراج وطباعة بمستوى قاماتهم، وكان من الممكن أن تكون هذه الاصدارات أقل فخامة وأقل مادة وأقل عدد صفحات لكي توفر من المال المنفق بسخاء على هذه الاحتفالية، حتى تستطيع أن تضعها في أعمالها الثقافية الأخرى وعلى حسابها. لكن الذين يعرفون سعاد الصباح يعرفون أنها حين تتولى مسؤولية شيء أو تقدر انسان فإنها تقوم به بمستوى قامته الانسانية والفكرية وبمستوى قامتها هي.

من أجل ذلك كان تكريم الأستاذ الكبير رائد التنوير الكويتي الاستاذ عبدالعزيز حسين بمستوى قامته، وقد كتبت عن هذا الحفل الأدبية الصديقة ليلي محمد صالح، وعبرت عما يمكن أن يقوله أي انسان يقدر هذه القامة الكويتية الفاعلة في الحقل الثقافي الكويتي زهاء ما يقرب من نصف قرن



أثناء تكريمها لشاعر البحرين الكبير إبراهيم العريض

«الأستاذ عبدالعزيز حسين»: وفي ذلك تقول ليلى محمد صالح في جريدة الوطن الكويتية بعد أن حضرت حفل التكريم: «في يوم الثلاثاء مايو 1995 كان «ملتقى الوفاء» في الشويخ في منزل رجل الثقافة عبدالعزيز حسين تكريماً له، فهو من رموز الثقافة والعلم والمعرفة في الكويت، وقد تم حفل التكريم بين أصدقائه المثقفين، وأمام رفيقة دربه أم هاني وابنه الكبير هاني، حيث قدمت له الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح أول نسخة من كتاب «عبدالعزيز حسين وحلم التنوير» الصادر عن دار سعاد الصباح تلك الدار الرائدة في تكريم رجال الفكر.

لقد أشرف على هذا الكتاب القيم أحد رجال الثقافة في الكويت الدكتور سليمان العسكري رئيس تحرير مجلة العربي، وافتتح بكلمة من صاحبة الدار، إلى جانب العديد من البحوث والدراسات والمقالات للدكتور شاكراً مصطفى والدكتور خليفة الوقيان، والدكتور محمد جابر الأنصاري والأديب عبدالرزاق البصير والدكتور حسن الابراهيم.

وتضيف ليلى صالح:

«شيء رائع ان يكرم الانسان في حياته ويادرة رائعة أول من بدأتها د. سعاد الصباح وهي تكريم من هم على قيد الحياة من رواد الثقافة والأدب في الكويت، الذين قدموا عصارة فكرهم، وسخروا جهودهم ووقتهم في سبيل الإرتقاء بثقافة الكويت.»



تكريم عبدالعزيز حسين في الكويت

لقد بدأت د. سعاد بعبدالعزيز حسين رجل التنوير، وذلك لدوره الرائد والمؤسس في مسيرة الكويت التعليمية والثقافية والسياسية، وسوف يستمر المشروع الذي تبنته الدار في تكريم المبدعين من الرجال الذين ساهموا في تأسيس الثقافة العربية، علينا أن نقدم لهم أجمل الكلمات ولمسات الوفاء ونكرمهم في حياتهم، لا أن ننتظر حتى تبتلعهم الماراة ويرحلون ثم نبكي على أغلى ما عندنا من كفاءات، ولقد ظلت سعاد الصباح خير من يفعل ذلك، فقد دعمت ولا تزال تدعم الحركة الثقافية في الكويت والوطن العربي من خلال جوائز د. سعاد الصباح للإبداع الأدبي والفكري، والتي تعتبر مكسبا كبيرا للحركة الأدبية في الكويت والارتقاء بها نحو الأفضل».

إبراهيم العريض في البحرين

ونزار قباني في بيروت

بعد تكريم رجل الثقافة والفكر في بلدها اتجهت إلى البحرين لتكريم شاعر البحرين الكبير إبراهيم العريض ثم إلى بيروت لتكريم الشاعر السوري الكبير نزار قباني، ومنها إلى القاهرة لتكريم الدكتور ثروت عكاشة ثم إلى المغرب لتكريم الاستاذ عبدالكريم غلاب

ثروت عكاشة في مصر

ويصف الدكتور يحيى الجمل أستاذ جامعي وكاتب ووزير سابق في مصر تكريم سعاد الصباح لثروت عكاشة بأنهما «درتان عربيتان نادرتان» وقد كتب

مقال في مجلة العربي يصف فيه ما تقوم به سعاد الصباح من تكريم الرواد ودورها في الفكر والثقافة العربية قائلًا:

كانت تلك الليلة الرائعة كما أثرت تسميتها صاحبها «وردة في عروة الفارس النبيل» ثروت عكاشه، ومن حسن حظي أنني عرفت كليهما المحفزية والمحفتي به معرفة أظن أنها وثيقة

ومنذ زمن غير قصير وأنا أصف «سعاد الصباح بأنها ظاهرة عربية فريدة، فمعرفة من سيدات العرب - بل ولا من رجالهم - من ينفق آلاف مؤلفة من الدولارات على القضايا القومية في غير ضجيج ولا صخب.. إن منظمات عربية تعمل في مجال حقوق الإنسان قامت واستمرت لأن سعاد الصباح بذلت لها وفي سبيلها من المال ما لو استثمارته لكان شيئًا كبيرًا، ولو منعت ما قامت هذه المنظمات أصلاً، ولكنها أدركت أنها بهذا الاستثمار في هذا المجال إنما تقدم لأمتها ولأجيال معاصرة وأخرى لاحقة مثلاً بشرياً نادراً، مثلاً يقول إن العطاء من أجل العمل العام ومن أجل حقوق الإنسان ومن أجل المثل العليا ليست خصالاً مقصورة على الغرب المستنير وحده، وإنما هي خصال يمكن أن توجد حتى في هذه الأرض، التي ندر أن تنبت في ظروفها الحالية نباتاً طيباً، ومع ذلك فقد أنبتت هذا النبات الأصيل الطيب: سعاد الصباح.

ويضيف الدكتور يحيى الجمل:

«عرفتها وهي طالبة تسعى إلى العلم» كان استاذها في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بالقاهرة» ووجهها الجميل تكسوه مسحة من نبل ومن حزن، ويختلط النبل والحزن في العينين العريبتين الجميلتين، فتوحيان إلى من ينظر

إليهما بكل المعاني السامية الجليلة، ثم عرفتها بعد ذلك تلقي بظلالها الوارفة وتمد يدها الحانية إلى الحركات المخلصة في المجتمع المدني العربي فترعاها وتشد أزرها وتفدق عليها في غير من ولا خيلاء.

رأيتها وهي تضع حجر الأساس للمنظمة العربية لحقوق الانسان في «ليماسول» المدينة الجميلة بقبرص عندما ضاقت علينا الأرض العربية بما رحبت، ولم نجد فيها مكانا نجتمع فيه لنعلن انشاء المنظمة العربية لحقوق الانسان، التي أوت إلى القاهرة بعد ذلك، ولم تجد دارا تستقر فيها إلا بعد أن اشترت سعاد الصباح من حر مالها داراً وهبتها للمنظمة. وأرادت أن تنشئ داراً للثقافة والنشر تشجع ذوي المواهب المتفتحة وترعى النبوغ الواعد وتمديد العون للحفاظ على التراث، ورغم ما صادفته من عقوق وهي تبني هذا الصرح، إلا أنها استمرت في البناء الذي أصبح منارة عربية شامخة تضيء في كل أرجاء الوطن العربي، ترعى المواهب الراسخة والمواهب الناشئة وتحمي التراث من الضياع.

من يستطيع أن يفعل مثل هذه السيدة الماجدة، قليلون ونادرون، ومن هنا فإنني عموماً عندما أطلق عليها ظاهرة عربية نادرة أو درة عربية نادرة لا أعدو الحقيقة في شيء، ولست أرجو من الله شيئاً من أجلها إلا أن يمتعها بالصحة والسعادة التي تستحقها، لقاء ما قدمت لأمتها ووطنها... ولقد قدمت... وأنا على ذلك من الشاهدين... ولن أتحدث هنا عن سعاد الصباح الأدبية ولا سعاد الصباح الشاعرة فهذا حديث يطول، وقد أعود له في يوم آخر، وإنما يكفيني هنا أن أتحدث عن سعاد الصباح المعطاءة عن سعاد الصباح المثل، عن سعاد الصباح الانسان نادر المثل.

كيف يتم التكريم؟

تجدر الإشارة إلى أن آخر المكرمين كان من المغرب الشقيق هو الاستاذ عبدالكريم غلاب ولكن السؤال، هل يتم التكريم باختيار صاحبة الفكرة أم أن هناك آلية تتبع لهذا الاختيار تقول الدكتورة سعاد الصباح رداً على هذا السؤال:

هناك مجلس أمناء مصغّر من شخصيات لها وزنها ونزاهتها في هذا الشأن، وخطة التكريم للرواد المبدعين تشمل هذه الكوكبة على امتداد الوطن العربي، وليس في دولة الكويت وحدها، إذن فليس هناك تنافس مع أحد في من يستحق الإجلال والتكريم، يجتمع هذا المجلس ويتدارس الترشيحات ويرسم آلية التنفيذ، وبعدها يتم تكليف أحد الأساتذة الأمناء بترؤس لجنة تكريم الشخصية المحترمة بها، فتقع على اللجنة مسؤولية تحديد الشكل والوقت الذي يتم فيه التكريم بالاتفاق مع المكرمين.



وردة البحر في عيون الكتاب والأدباء

كثيرون هم الذين كتبوا عن سعاد الصباح ككاتباً وشعراء ووزراء وعظماء ولو أردت أن أجمع ما كتبوه لاحتجت كتاباً مستقلاً، لذلك أكتفي بأشعار ومقالات بعضهم من مختلف أنحاء العالم، تعبيراً عن تقديرهم لرسالتها في مجال الثقافة والفكر ولشعرها بالنقد والتحليل وهذا غيض من فيض.



في جنيف كرمتها مؤسسة التعاون
ويرى يمينها رئيس المؤسسة السيد عبدالمجيد شومان
وعن يسارها الدكتور إسماعيل الزبري المدير العام للمؤسسة

ثمرة العطاء الكبير

تكريم الشعراء والأدباء لوردة البحر

شاعر البحرين الكبير ابراهيم العريض طالعنا بقصيدة مهداة إلى الدكتورة
سعاد الصباح نشرتها جريدة «الحياة» اللندنية عدد الأول من ديسمبر 2000
يقول فيها:

سعاد الصباح

طاولي كل طود أشم

ماعهدناك إلا كام

يا ابنة الخلد أيّ علاء

لحت منه لصادق حلمي



أثناء تكريمها من نادي الخريجين للجامعة الأمريكية ببيروت

حزت في الخلق وحدك قلباً
نيراً... بينما الحب يُعمي
تستظلمين راية عز
ونجواك للألاءُ نجم
كيف عاشرت أهل جوار
خائق بين خال وعم
كم تنادوا لبعض قضايا
وتنادوا بها دون حسم
لقنت ضربة الشمس درسا
كل رام فما عاد يرمي



الأستاذ عبدالرؤوف فضل الله يقدم لها عضوية الشرف في المجمع الثقافي ببيروت

يا ابنة الخلد محض دعاء
 قدر الله همك همي
 مع تلك النوايا خلوصا
 كالأعاصير وسط الخضم
 إن تقري بدنياك عينا
 في الورى بين مدح وذم
 لقرار كبرقة مزن
 من تسمين، من لم تسمي
 في احتجاز الأخص سليلهم:
 كيف ضلوا طريق الأعم
 إنهم أمة في انقسام
 عوذ قاضٍ وحيرة أمي
 ثم يغب عنك ما غاب عنهم
 بدّل القرن كيفاً بكم
 هم كحادين خارت قواهم
 فأناخوا وركب أصم
 يا لذكراك والليل داج
 أين عن مثلها بدر تم



اكتشاف الانسان في أعماق سعاد الصباح

الكاتب اللبناني جهاد الخازن كتب مرات كثيرة عن سعاد الصباح وعن شعرها في زاويته نقطة حوار في جريدة الحياة اللندنية وفي واحدة منها كتب يقول:

إذا كان للشعر في كتابات د. سعاد الصباح حظ عظيم... فقد كتبت أيضا في الاقتصاد وعن النفط كتابات ملفتة، بجانب عضويتها من زمن في اللجنة التنفيذية للمنظمة العربية لحقوق الانسان، وشاركت في ندوات فكرية واقتصادية عالمية، حتى اتجهت «رسالة النشر» فأنشأت دار سعاد الصباح للطباعة والنشر، وحدث ما حدث من وراء المستغلين لثققتها فيهم، لكن الصدمة لم تنشأ عن فكرتها، وما احتملته على عاتقها من تشجيع ودفع المواهب والمبدعين إلى فرصة طبع ابداعاتهم... وقد أشرت مرة إلى (تعددية) شخصية وثقافة سعاد الصباح وقلت عنها: هذا لا يعني أنها امرأة شاملة ولا كاتبة متعددة في مشاركتها، بقدر ما أريد أن أؤكد على اكتشاف الانسان الحقيقي في أعماق هذه الشاعرة المثقفة ذات الانتماء العروبي القومي الباهر... وهي مبدعة معنية بعالمها، ومألمة بقضايا إنسانها تضيء فكرا وتمطر شعرا، حين يستبد بها الشعر الانساني.

والكتابة عنها اليوم - في صمتها الذي اختارته وبُعدها عن الأنشطة الثقافية - إنما تحرضنا على التفتيش عنها، ودفعها للصهيل كمهرة عربية أصيلة، نحاول أن نشهد معها ملامح هذا القرن ومتغيراته، في نفسها اللحظات

التي تتجسد فيها العلاقات الاجتماعية الوحشية حسب تعبير عالم اجتماع حديث. ولا بد أن هذا الانسجام قد تبلور أو تمخض منذ قرأنا لها قصيدتها اللحمة أو الوشيحة التي تمزجها بالأرض وقالت فيها: «جسمي نخلة تشرب من شط العرب» ومن قرأ تلك القصيدة لابد أن ينظر إليها وكأنها «يومييات خليجية» وتتفي عنها تلك التهمة المترفة التي قيلت ظلما عن كتابة نزار قباني لأشعارها، فلقد أرادت الشاعرة أن تجابه كل قارئ - في البدء - بالاعلان الصميمي لانتمائها العربي.

أما قصيدتها، «فيتو على نون النسوة» فقد قرأناها يوما ونحن «وقوفا»... لأنها كانت مثيرة صارخة، وحزينة متألمة... ولأن فيها ذلك الشجب الذي قرأناه في قصيدتها السابقة، وهو شجب لكل الاقتحامات التي صنعتها الماديات في العمق الانساني.



شجاعة تسيل عذوبة وحرنا ونضارة!

أما الأديبة السورية الرائعة غادة السمان فقد كتبت في زاويتها بمجلة الحوادث اللبنانية الاسبوعية «لحظة حرية» تحت عنوان: «سعاد الصباح عليك العافية» وذلك حين علمت بمرض الشاعرة الكويتية تقول:

على شاطئ البحر البيروتي كنا الصديقة «ليلى الحرّ» وأنا نستعرض أخبار الأحباب حين علمت أن الصديقة الشاعرة سعاد الصباح مسافرة للعلاج. لم أتوقف طويلا عند الخبر، فأنا أعرف أن سعاد الصباح مقاتلة شجاعة، وقلت لنفسي ستهزم المرض سريعا وتعود وهكذا نسيت الحكاية.

ومنذ أيام قرأت في باريس كلمة للاستاذ علي أحمد البغلي «وزير النفط الكويتي السابق وكاتب» سطوراً جميلة من قصيدة للدكتورة سعاد الصباح كانت قد نشرتها جريدة القبس الكويتية، وكتب معلقا عليها «ذلك العزف المنفرد على ربابة كويتية» لشاعرتنا المجيدة الدكتورة سعاد الصباح شفاها الله وعافاها وأفرحنا برجعها قريبا إلى أرض الوطن.

أحببت كلماته الرقيقة ولكنني فوجئت أيضا بها. إذن سعاد لا تزال مريضة منذ أسابيع؟ إنها السيدة التي يسيل الضوء من أصابعها، إننا نفتقدك فعودي إلى جحيمنا، واشهري أبجديتك في وجه البشاعة كلها التي تحيط بنا و«القبائل التي تعودت أن تتد النساء»، على حد تعبيرك في قصيدتك الأخيرة حيث تقولين:

أنا من الخليج غزالة من بين الغزلان التي تولد في الصحراء

تعشق في الصحراء، تموت في الصحراء

أسير طول الصيف والشتاء

حافية باحثة عن نخلة، عن ثمرة خضراء

فلا أرى حولي سوى قبائل

تعودت أن تئد النساء

أن تأكل النساء

حين أفقد الذين أحبهم أعود إلى كتبهم لاستحضرهم كأية ساحرة
شكسبيرية تلتقي بأعزائها حين تشاء... وهكذا عدت إلى كتاب جميل كانت
الأخت العزيزة الشاعرة سعاد الصباح قد كتبت لي اهداءً رقيقاً على صفحته
الأولى وطالعت فيه تلك السطور المتحدية:

يقولون إن الكلام امتياز الرجال فلا تنطقي

وإن التغزل فن الرجال فلا تعشقي

وإن الكتابة بحر عميق فلا تغرقي

وها أنذا قد سبحت كثيراً وقاومت كل البحار ولم أغرق

أيتها الأخت الغالية لست بقلقة عليك فأنا أعرف أنك ستقاومين أيضاً
بحار المرض ولن تغرقي، كل ما في الأمر أن غيابك خلف فراغاً في دنيا أدبية

كنت تشيعين فيها وداً ووفاءً وحياءً وندوات ومعارك ثقافية وحروباً بصورة مقابلات صحفية ولقاءات تلفزيونية وقصائد مشاكسة وشجاعة تسيل عذوبة وحرزنا ونضارة... هذا كله نفتقده بقدر فرحتنا بقصيدتك الأخيرة التي تسجلين فيها موقفاً منحازاً للمرأة في وجه «المنتصرين» عليها أينما كانوا، فانتصارهم هذا هزيمة في وجه المستقبل العربي كله.

أيتها المرأة النفطية التي تطلع كالخنجر من تحت الرمال، تتحدى كتب التنجيم والسحر وإرهاب المماليك وأشباه الرجال، كما تقولين في قصيدة لك، نحن بانتظارك فعودي لنتابع حروبنا دهرًا بعد آخر ونستمر طويلاً راكضين فوق الرمال، والدماء تسيل من جراحنا سطوراً مكتوبة حتى ولو صرنا الديناصورتين الأخيرتين في الحديقة «الجوراسية» العربية.

لست بقلقة عليك يا سعاد... فأنا شخصياً لا أعود إلى سطح الماء إلا بعد أن الأمس القاع.



الدكتور عبد العزيز حجازي

رئيس وزراء مصر الأسبق

شاعرة أحبها المثقفون!

سعاد الصباح إنسانة رقيقة المشاعر تحس بنبض الحياة حلوها ومرها فتشدهو شعرا ينبع من قلب مليء بالحب، وعقل يخترن علما تنوعت أبعاده.

سعاد الصباح إنسانة تحب الناس وتتوقع دائما أن يبادلها الناس هذه المشاعر بكل صدق وإخلاص، تفرح مع أفراحهم وتحزن مع أحزانهم فتطلق الكلمات الصادقة تعبيراً عن هذه المشاعر.

سعاد شاعرة أحبها المثقفون لأنها تعبر عن جيل الأصالة والمعاصرة، فهي تتحدث عن التراث باعتباره ثروة قومية، تعكس التاريخ العظيم لأمتها الإسلامية، وهي في الوقت نفسه تنفتح على الحضارات والثقافات المعاصرة، تأخذ من رحيقها ما يتمشى مع المبادئ والأخلاقيات التي نشأت وترتبت عليها، فهي تلتزم الطريق المستقيم في الحياة فترضي ذاتها وتؤكد عقيدتها الإسلامية.

سعاد الصباح ارتبطت بأمتها العربية فقدمت شعرا وطنيا نابعا من قلب يملؤه الزهو، وعقل راجح لا يعرف إلا العدل والحق، أحبت مصر الحضارة والعلم والناس وصدحت في محافلها ومهرجاناتها، فلما غابت عنها اشتاق إلى رؤيتها وسماع أشعارها محبوبها وعشاق كلماتها التي تتبع من عقل واع وقلب صاف لا يحمل بين طياته إلا كل محبة وصدق، وإذا كنا نكرم الدكتورة سعاد الصباح الكاتبة والأديبة والشاعرة، فإننا نكرم في شخصها الانسانية القادرة

على التعبير عن آمال الأمة العربية وآلامها، فهنئاً للدكتورة سعاد الصباح هذا الفيض من كلمات أصدقائها ومحبيها وعشاق شعرها يقدمون الكلمة الصادقة تعبيراً عن وفائهم لها، وهي التي قدمت الكثير لوطنها وأمتها، ولم تبخل على أحد بمال أو فكر أو حب، واليوم تتطلق الكلمات تبادلها الحب والاحترام والتقدير والإعزاز.

اليوم نضرب إلى الله سبحانه وتعالى أن يجزيها عما فعلت وقدمت من خير ويمنحها الصحة والعافية، لتكون قمراً منيراً في عالم الأدب والشعر والسياسة والاقتصاد، بل في كل ما يسمو بالإنسانية في أعلى مراتبها. والله على كل شيء قدير.

من كلمة في تكريم

المنتدى الثقافي المصري

لسعاد الصباح



دكتورة سهام الفريح،

الشاعرة سعاد الصباح

أعلنتها صرخة مدوية في وجوه الرجال !!

على الرغم مما اكتشفته المرأة الكويتية من حقوق بعد التطور الذي أصاب المنطقة منذ بداية الخمسينات وكانت الكويت سباقة إليه، فإنها بقيت محكومة ببعض الأعراف والتقاليد التي تحرم بعض النساء من أبسط الحقوق، وأصبحت المرأة في مجتمعها أمام انقسام جيلين من الرجال متصارعين في الفكر، وفي مدى ارتباطهما بهذه الأعراف والقيم.. وكان من الطبيعي أن تنصبّ سطوة التخلف في غالبيتها على المرأة، لأن الرجل هو حارس هذه التقاليد، والقوأم على تلك الأعراف، شأنه شأن الرجال في جميع المجتمعات التقليدية.

ومن الطبيعي أن يكون مجتمع الخليج في تلك الفترة المبكرة كباقي المجتمعات المقيدة التي لاتعترف بالحب أو العاطفة التي تربط بين الرجل والمرأة وإن كان هدفها الزواج في وقت تمنح فيه فسحة من الحرية للرجل للتعبير عن عواطفه وأحاسيسه تجاه المرأة، وتحرم على المرأة هذا الحق في التعبير عن عواطفها في خطابها العام وبالتالي لا تظهر هذه التعبيرات في خطابها الابداعي. وقد بقيت هذه النظرة سائدة في مجتمعات الخليج والجزيرة العربية بقدر متفاوت بين مجتمع وآخر، حتى هبت رياح التغيير بفضل الانفتاح على العالم وتكوين علاقات حضارية من جانب بين دول المنطقة والدول العربية من جانب، وبينها وبين دول العالم المتحضر من جانب آخر، فضلا عن انتشار التعليم ومشاركة المرأة في العديد من مجالات العمل والنشاط التطوعي الاجتماعي، فكان لهذا

كله الأثر الكبير في أن يتغير وضع المرأة ودورها في المجتمع.

وعندما نشطت الحركة الأدبية في المنطقة بادرت بعض النساء إلى نظم الشعر وكان يغلب عليه الشكوى من ضياع الحقوق واختيار الزوج وحق العمل، أما شعر الشاعرة سعاد الصباح فإنه جدير بالدراسة والتحليل، لأن ما يتناوله يختلف كثيرا عما عرض له غيرها من شاعرات جيلها في قضية المرأة وموقف الرجل منها ومن حقوقها، فهي لم تعبر عن رفضها لممارسة الاستبداد والتسلط من الرجل على المرأة فحسب، وإنما أعلنتها صرخة مدوية في وجوه الرجال جميعا.

والشاعرة في ديوانها «أمنية» و«فتافيت امرأة» تتمحور حول أحاسيسها وتكسوها بألوان ريشتها الشعرية التي تمليها بيئتها ومحيطها، وقد تتجراً فتكشف بعض مشاعرها ونزعاتها تجاه قضاياها كأنثى، واتجهت إلى تجسيد هذه المعاني لتصدم بها مشاعر المتلقي وسمعه.



الشاعرة.. الشاعرة

سأكتب عن سعاد الصباح إذن... سأسجل شهادة على زمن شهيد نتمي إليه معا، وسأعلن، منذ البداية انحيازي لمحض الشعر فيه وأقاوم رغبة في الكلام، أعرف أنها ستتحقق أخيرا.

سأقول إذن، لا لأنني أريد أن أقول شيئا من ذلك النوع من القول، ولكن لأنني أريد أن أقول ما ينبغي أن يقال عن امرأة شاعرة أزعم أنني أعرفها إلى حد تقرير ذلك. سأقول إذن عن سعاد الصباح... هكذا... وسأدون في هذه الأوراق شيئا مما يمكن أن يدون عن هذه الشاعرة الاستثنائية ليس في زمانها وحده، وليس في مكانها وحده، وليس في خصوصيتها العائلية وحدها، وليس في هويتها الإبداعية وحدها، بل بكل ذلك معا.

امرأة تبدأ بإصرار يشبه حد السكين في رهافته وحدته، رحلة شعرية صعبة برغم أنها تملك أداؤها الأولى حيث الموهبة قرار الممارسة، وحيث الوعي بهذه الموهبة وحدودها خطوتها الأولى نحو تحقّقها الأخير، ورحلة إنسانية أصعب برغم أنها تسير خلالها على طريق مفروش بالمجد العائلي التليد المسيج بزهو السلطة الموروثة ورفاهية الثراء الموروث أيضا، فالصعوبة عنوان الطريق، وعلى حدّتها الأدنى والأعلى توزّعت مقولات الشاعرة المعلنة وغير المعلنة.

هكذا، إذن، وجدت سعاد الصباح نفسها، وفقا لتفاصيل الرحلتين، وهي تعلن ذاتها شاعرة تخوض في تضاريس دقيقة من الشعر والسياسة والنقد والعائلة والحب والوطن في هويته المحلية وهويته القومية.. وما يمكن أن يكون

خيطة تنتظم فيه كل هذه المفردات دون أن تطفئ مفردة على أخرى تحت وطأة هاجس ما ..

شيخة بالولادة تنتمي لأسرة حاكمة، وزوجة لواحد من الاستثنائيين في تاريخ بلادها، وباحثة في المجال الاقتصادي، ولكنها قبل كل هذا كله بتاريخ كامل ربما، هي شاعرة تعي تلك الشاعرية وتحتفي بتحققها في زمان لا ينتظر أن تكون فيه امرأة من هذا النوع شاعرة، ولا يتوقع منها، إن كانت، أن تحتفي بتلك الشاعرية... لكنها كانت واحتفت..

شاعرة محتشة بظنون الكلام الأليف والكلام المخيف، وبسماوات لا نهائية من الشعر والنقد والصلاة والشك والأصدقاء، تمضي، ونمضي نحن الذين ربما نكون نظرنا إليها، ذات حلم شخصي مكسور أو هزيمة مضنية بخصوصيتها، وكأنها المرأة التي لاتعاني، ولا تتكسر ولا تنهزم ولا تُظلم... ولا تحلم إلا ليتحقق حلمها قبل أن تحلم به... أليست هي سعاد الصباح؟! أليست هي الأميرة الجميلة التي يخطفها الفارس الأمير على حصانه الأبيض ليتزوجها ويعيشا في «ثبات ونبات ويخلفا الصبيان والبنات»؟! نعم نمضي نحن قليلا فقط، في الكلام، ووجهه الحسن، برغم ما يفيض به علينا من علل تتجاوز حدود امرأة اسمها سعاد الصباح نحو نصف وطن من النساء يمتد من الماء إلى الماء... ليصير استفزازاً للنصف الآخر من ذلك الوطن بمجرد وجوده الأزلي، بل لتصير أي أنثى فيه وحدها استفزازاً سرياً لتلك الذكورية الجاهلة بامتياز قومي تاريخي عريق.

أما إن تجرأت هذه الأنثى لتكون امرأة فهي تتحول فوراً لأن تصير

استفزازاً معلناً... ثم يتضاعف هذا الاستفزاز عندما تحاول هذه المرأة أن تكتشف تلك الينايبع السريّة للشعر حيث الصدق ضرورة للتحقق. فماذا يحدث إذا كانت هذه الأنثى قررت أن تكون امرأة تحترف كتابة الشعر تنتمي لعلية القوم وتحمل لقباً عائلياً نبيلاً... لهذا الوضع، بدوره، وجه، على علاقاته المتوارثة، حسن، ولوجهه الآخر على حسناته الحلمية علّة لا أعتقد أن أحداً عانى منها كما عانت سعاد الصباح، التي كان عليها دائماً أن تكون النموذج الرائد، وأن تنحني لعواصف الإدعاء الهوجاء دون أن تنكسر، وبين الممارستين خيط رفيع ظلت سعاد تجيد التعامل معه بدقة لم تفقدها عفوية وبساطة يشبهان الشعر في محضة وضروريته وجغرافيته وطقوسه أيضاً، فأن ينتمي مبدع للسلطة، حتى وإن كان ذلك انتماءً عائلياً أصلاً، يعني أن يعيش في ظلال كثيرة من الظنون الأثمة وغير الأثمة وفقاً لمفهوم السلطة وتداعياتها في العالم الثالث، فهو معرض منذ البداية وبالضرورة لمن يرى فيه ظلاً لهذه السلطة مما يعرض انتاجها لتنظرات التشكيك من قبل النقاد - قبل المتلقين - ومن ناحية أخرى من يرى فيه أداة من أدوات هذه السلطة، مما يعرضه هذه المرة لتنظرات نقدية استرضائية قد ترضي نجومية الشاعر ولكنها تخدش جوهر الشعر فيه، كما أنه يعرضه من ناحية ثالثة لنظرة خاصة من قبل السلطة، التي ترى فيه ما لا تراه في الآخرين، وبالتالي فهي تتوقع منه ما لا تتوقعه من الآخرين.

لكن سعاد الصباح، ولعلّ هذا أهم ما حققته بالفعل، نجت من كل هذا ومن ذلك، إلى حد ما على الأقل، لأنها وبذكاء فطري إنحازت لمحض الشعر في بناء مكونات شخصيتها الشعرية، دون أن تخفي اعتزازها بانتمائها العائلي الرفيع،

ذلك الإنتماء الذي أرى أنه أضاف بالضرورة صعوبة إضافية، حتى وإن كانت غير معلنة أو مقصودة، بدلا من أن يذلل صعوبة متوقعة تعترض طريق امرأة، محض امرأة، تبدأ، محض بداية!!..

لكن المثير فعلا أن سعاد استفادت مثل غيرها من المبدعات العربيات من هذه المعطيات التي تحيط بتجربة أي امرأة مبدعة في أي مجتمع ذكوري، فمثل هذا المجتمع يقوم، دون أن يدرس لحسن الحظ، لمثل هذه المرأة أول أدوات أو شروط الجودة والأصالة لممارسة الإبداع الشعري أو أي إبداع مشابه، وهو الصدق والجرأة المتناهية، فالمرأة التي تختار الشعر رهانا لحياتها يفترض أنها منذ البدء تعرف صعوبة الإختيار ولذته، وتصير بالتالي مستعدة لإنجاز تجربتها الشعرية الحرة، حتى وإن تم ذلك في مجتمع ذكوري قانع ورافض ومحارب لحميمية المرأة، ما دامت قد استطاعت عبور البرزخ السري الدقيق المؤدي إلى جنة الشعر وناره.

وسعاد الصباح كانت واحدة من أوليات اللائي استطعن عبور ذلك البرزخ... كانت بأسئلتها... تزرع دهشه معلنة في محيط القبيلة المأخوذة بجرأة امرأة تكتب شعراً ثورياً، لا لتوقعه باسم مستعار ولا لتخفيه في الدرج السري بخزانة ملابسها، ولكن لتشره على الملأ صادحا في فراغ مهيب من خوف موروث ورهبة مزمنة وكثير من الأحلام المكسورة. وبمدى يشبه الخضرة المتمناه باتساعه، كانت تعلن حضورها حيث تغيب تفاصيل مهامها الأثيرة على هامش اليوم والليلة، لتعيد توزيعها من جديد على هامش تاريخها كله، ولعله تاريخنا أيضا، نحن النساء العربيات اللاتي قدر لهن أن يتعاطين الشعر والكتابة.

وماذا بعد...؟

هل أقول انني مازلت مسكونة بفرح الجائزة الشعرية الأولى التي فزت بها في حياتي؟.. ولكنني كذلك. ومازالت جائزة سعاد الصباح الأولى للإبداع الشعري التي فزت بها عن كتابي الأول «آخر الحالمين كان» هي الأهم بالنسبة لي، ربما لأنها الأولى ونحن ضعفاء أمام فرحنا الأول، ولعل هذا أهم ما يميز جوائز سعاد الصباح الشعرية عن غيرها من الجوائز الشعرية في الوطن العربي، إذ إنها لا تمنح إلا لمن هو دون الثلاثين من العمر.

وماذا بعد..؟

هل قلنا عن سعاد الصباح كل ما أردنا قوله؟.. بالتأكيد لا.. ولكننا على أية حال نستطيع أن نقول أيضا أن سعاد الصباح تتجو، وتتجو القصيدة بها، عبر مدى متسع من الشعر في معناه الذي يتجاوز حدود التعريفات النقدية، إلى آفاق لا حدود لها، بها... وبين هاتين المتناوبتين نذهب إلى طرف الدهشة الأخيرة.. لتكون الشاعرة... الشاعرة!!



عند سعاد الصباح يخشع الجسد في محراب الروح

سعاد الصباح امرأة تبحث عن معنى في هذه الحياة، تنتمي إلى آخر السيوف وتتكلم، تمتاز بخصوبة الجسد والمخيلة، كما تتميز بالكبرياء والمناعة، تعبّر عن ذات بحدين، ذات الأنثى كجنس خاصة في بوحها الأيروسي، وذات الأنثى المنشقة التي تسعى إلى عودة العلاقة بين الجنسين إلى ميزانها الطبيعي، لا سيد ولا مسود، أو أمير وعبد، بل الذات التي تكتمل بشطرها الآخر، فالذكر والأنثى من نفس واحدة كما في الكتاب الكريم، ومن حقها أن تتشكل بالآخر وتكتمل به، وحين يكون هذا الآخر حاجزا يلغى الذات أصلا ويحرمها من الحرية فمن حقها التمرد والثورة وأن تتحرك كعشتار ما بين ولاء وحرب، تُعلمنا ذلك كله بشعرها الذي ينبض بالمعرفة، كما يتوهج بالألفة والبهاء، لأنه يخرج من نار القلب ومعاناة النفس، كما تعلمنا كيف تحتوي الموءودة وائدها، وتلد ولادة جديدة، على حين أنها تتشبث بالانتماء، لكنها تسعى إلى التميّز والتجاوز، فالأنثى الجنس لا تتفصل عن الأنثى الأم، وغالبا ما تمنح حبيبها الأمومة التي تكمن كالرحم في مطاوي الجسد، وهي تعنون قصيدة حب لها بالأمومة، وتصرح بهذا الحس في قصائد كثيرة حتى يتحول العشق لا إلى علاقة بين جسد وجسد، بل بين أم وابنها، فيخشع الجسد في محراب الروح، لذات أنثوية تبحث عن الأمان والمعنى من خلال اكتمالها بالآخر. لا تتخلى عن الحياة، ولا تتخلى عن الحرية، ومن هنا هي تدمّر اللغة القديمة، وتدمر الهيكل

القديم لتبتكر لغة جديدة أخرى، وقصيدة يمكن أن تكون باقة ورد أو مدية. وتتحول الذات الأنثى كما يتحول طائر «البنو» في الأساطير الفرعونية، وهو ما يساوي الفينيقي والعنقاء في أساطيرنا، بين العشق والأمومة. هي عشتار المحاربة، وعشتار تموز المنقذة والمخلصة، فراشة رقيقة أو شعاع مضيء، وحاتق إذا لزم الأمر.

سعاد الصباح امرأة بوجوه متعددة، المرأة الزوجة، والمرأة الأم، والمرأة الحبيبة ثم يأتي بعد ذلك كله المرأة المواطنة والمرأة الحقيقية هي التي تمسك بكل الوجوه من خلال الشعر.



في ندوة الثقافة العربية في بكين

السفير عبد المحسن الجيعان سفير الكويت في الصين

أحلامها تلامس كل إضاءات الكويت!

وسط جو شديد البرودة وتلوج بيضاء تفرش الشوارع والطرق، انطلقت الندوة الثقافية العربية من احضان مركز الإمارات للدراسات العربية والاسلامية في العاصمة الصينية.

افتتح رئيس جامعة الدراسات الأجنبية الندوة الثقافية العربية بالتنسيق مع مجلس السفراء العرب، وسط حضور كبير من الدبلوماسيين العرب وجمع غفير من الأدباء الصينيين والمهتمين بالشؤون العربية، وعدد كبير من الطلبة الدارسين في جامعة الدراسات الأجنبية، حيث أشاد رئيس الجامعة بالشعراء العرب الذين استطاعوا أن يحتلوا جانبا من تاريخ العالم.

سفير البحرين في بكين تحدث عن ابن بطوطة وسفير مصر تحدث عن العروبة في شعر أحمد شوقي ثم استعرض السفير الليبي لمحات شعرية وتناول أحد المهتمين سيرة الشاعر مصطفى التل.

في الجلسة الثانية تناول السفير الكويتي عبد المحسن ناصر الجيعان السيرة الشعرية للشاعرة الدكتورة سعاد الصباح ومما جاء في محاضراته التي لا يتسع المجال لذكر كل ما فيها:

يقول مارتن هايدغر: «مهمة الشاعر الكبرى هي تأسيس الوجود باللغة، وهي المهمة التي حملتها الدكتورة سعاد الصباح إلى العالم، حين زاوجت بين

مطالبها الوجودية كإنسانة، وما يندمج تحت هذا الوجود من قضايا الفكر والسياسة والقيم الحياتية العليا، وبين صوت حروفها الخارج من بنية شعرية راغبة باستمرار، ومتطلعة إلى تحقيق «الاجتياز والتجاوز» كما قال عنها محمود حيدر.

تقول د. سعاد الصباح:

«أصعد إلى سقف القمر

لأقطف لك قصيدة

وأصعد إلى سقف القصيدة

لأقطف لك القمر

أصعد إلى فضاءات

لم تصعد إليها امرأة من قبلي

وأركب كلاماً عن الحب»

إن فعل الصعود باللغة والوجدان فوق سلم الوجود ودرجاته، والارتقاء نحو المطلق الانساني لا يمكن أن يتحقق إلا بقدمين عنيدتين عاشقتين للحياة، وهي المعادلة الصعبة والجسر الذي عبرته سعاد الصباح. لقد جربت سعاد الصباح العزف على كل أوتار الشعر، ودخلت بشجاعة إلى كل مناخاته وعواصفه وأنواعه، فاعطت التفعيلة وكتبت القصيدة الكلاسيكية، ثم استراحت على أرجوحة القصيدة النثرية، فما فاتها تألق الأولى، وما افتقدت حرارة تجربة

الحدائة الشعرية، حتى تلاحم عندها المنطوق والمحسوس وغدت الكتابة
قدرها الوحيد ترتدي عباةته كل لحظة تتنفس حروفها وتجتاز بها موقفا
ومسلكا فنيا.



الفنانة الجميلة ماجدة الرومي

قل قلبا وأجمل...

تأتينا من أعماق مملكة بحار الشعر، رافلة بأمجاده، مكللة بالقيم، محجوبة بأسراره، خلفها تعود الكلمات وتتمايل الأوزان وتترنم القوافي.

تأتينا من بلاط عظيم، صولجانها قلم مضموم بالورد، مرفوع بالحب وعلامة رفعه ذلك السناء البهي سليل الصباحات الحدية في الكويت.

شعرها الزاخر بلآلئ تلك الأعماق... كم أحبه، هو شعر وأكثر... قل قلبا وأجمل. هو إنسان سما، فسمت معه الدنيا، وكل ما فيها سما، ومن فيها.



الوفاء لأجمل الأسماء...

من أكثر المواجع إلماً على النفس أن يشعر الإنسان الحر أنه غريب في وطنه. ومن أصعب اللحظات وأكثرها حزناً أن يرى الإنسان نقرأ من أبناء عربوته ينشدون التكريم ويعلنون الوفاء ولا يسمع من يهمس في أذنيه ومن داخل حدود الوطن له ولا مثاله إنكم تستحقون كلمة الوفاء.

الوفاء كلمة جميلة تغسل ما في داخل المرء وتزيل من نفسه ما علق بها من شوائب وتبقى على كل ما من شأنه حب الحياة والبوح بإنسانيتها، وضيقتنا هذا الأسبوع هي وجه مشرق بالعطاء والإبداع تزن الدنيا بمن يزرع في عقلها نبتة طيبة أو يغرس في وجدانها ان لا قيمه لحياة بلا أصدقاء.

تصبح الحياة قاتمة إذا انعدم الحب فيها وسعاد الإنسانية التي أحببت رجلاً اقترنت به هو الشيخ عبدالله المبارك الصباح الذي رحل عن دنياها عام 1991م لكنه لم يرحل عن ذلك البحر الواسع من الذكريات، فكانت لمسة الوفاء من زوجة أخلصت له في حياته كما في مماته وعبرت عنه في كتاب حمل اسم «صقر الخليج»، حيث أفرغت صفحاته ما يستحقه من توثيق، فقد أهدت قصة حياته ومعاركه واعتزازه بإسلامه وعربوته وكويتيته لأولادها وهي رواية العارف عن الرجل الذي سكن عقلها قبل أن يسكن قلبها.

حين تتكلم عن مصر كأنها تستعيد مرحلة الصبا والعنفوان ففيها من الصور والذكريات مالا يحصى، وهي واحدة من الأشياء التي تشعرها بالدفء وبالسكينة.

كانت ناصرية الهوى ومازالت وحلمها كما ارتدته على يد عبدالناصر، ان تتحقق الوحدة العربية، فهذا الزعيم كان هو الأجل في تاريخنا والنخلة الأطول في صحرائنا، كان هو الحلم الذي يورق في أهدابنا.

وأهم ما في مصر هو أنها بيت ينسبك في أكثر الأحيان بيتك. عاشت في مدينة

الحلم العربي وفي ذروة الزهو وكانت أقرب الناس إلى عبدالناصر من خلال زوجها الذي ارتبط بصدافة شخصية معه، وكانا ضيفين دائمين ينزلان عليه في منشية البكري.

لم يغن أحد لمجد العراق كما غنت سعاد الصباح ولم يسق أحد مياه دجلة بدموعه كما سقتها هي بنفسها، لكن عندما اضاعت الدبابة طريقها إلى الهدف القومي الكبير اعترضت قولاً وشعراً وكانت من أول القائلين:

سوف نبقي واقفين

مثل الشجر العالي، سنبقى واقفين

سوف نبقى غاضبين

مثلما الأمواج في البحر الكويتي، سنبقى غاضبين

أيها الآتون في الفجر علي دبابة

من رأى دبابة تجري حواراً؟

ابدا لن تجدوا في وطني

نجمة واحدة ترشدكم

نخلة واحدة تذكركم

طفلة واحدة تشكركم

وكانت تلك التعابير الوطنية الجامعة في عنفوانها بعد ثمانية أيام من الغزو عندما لم تكن للكويت منابراً إعلامية لغاية 14/8/1990م ولم يكتب أحد للكويت قبلها ومن تاريخه كان اسمها حاضراً في «القبس الدولي» و«صوت الكويت» عدا رعايتها للندوات والمؤتمرات الطلابية والسياسية التي أقيمت في كل من لندن وواشنطن والقاهرة دفاعاً عن مأساة الوطن.

لم تكن فقط مهتمة بالشأن السياسي الكويتي بل هي معنية به ومشاركة في قراره، كاهتمامها بالهم العربي والقومي، ولفترة طويلة كانت لها مشاركات متواصلة بحضور جلسات مجلس الأمة حتى أن بعض النواب أطلقوا عليها اسم النائب 51، وبالنسبة لها كان مجلس الأمة ذلك المنتدى السياسي الأرقى والأهم

لما يتيح لها من إمكانية التواصل بالحياة العامة للناس، بالرغم من أن علاقتها لم تقطع مع النواب.

إمرأة أبحرت في سواحل الكويت دون حدود ورمت أحزانها وآمالها في خليجه الذي تربت في احضانه وشرعت تناجيه دون رقيب أو حسيب، ومثل كل الامهات اللواتي رضعن من أثناء أمهاتهن، بقي التمني ان ترى ولديها يمارسان دورهما في المجتمع خاصة أن محمد ومبارك هما الحفيدان الوحيدان والمباشران لمبارك الكبير مؤسس الكويت الحديثة.

تاريخها الشعري يبدأ منذ عام 1961م عندما أصدرت «ومضات باكرة» وكانت عبارة عن «خربشة» طفلة شعرت في مكنون نفسها شيئاً يقال ويريد ان يجد سبيلاً إلى البوح، واليوم وبعد أكثر من 40 سنة قذفت إلى المطبعة وفي أيدي محبي الشعر أربعة عشر ديواناً آخرها «القصيدة أنثى والأنتى قصيدة، فالشعر لديها موهبة تتساقط على من امتلك القدرة على الإبداع والكتابة، وحتى في زمن الافتراءات، نحت بوجهها عنهم، وترفعت عن الدخول في معارك وهمية معهم لتكمل رسالتها التي آمنت بها.

أميرة الشعر، الثائرة على القيود، الواثبة نحو التجديد المخلصة للبحر كما للطفولة والحاملة لسيف العدالة، اختزنت في أعماقها أحداثاً قالتها شعراً ومن هذه التجارب فقدان ابنها البكر والغالي مبارك، هزيمة حزيران، فعل النفط في حياة الكويتيين، رحيل عبدالناصر، كارثة الغزو، فرحة التحرير وغياب آخر المحبين عبدالله مبارك الصباح.

عندما أصيبت مصر والعرب بالنكسة سنة 1967م كانت تعيش في قلب الحدث بالقاهرة، يومها اعلن عن فتح باب التبرع وإقامة المزايدات لدعم صمود الجيش المصري، ولم يكن لديها سوى سيارتها «الكاديلاك» لتقدمها هدية لأولئك الأبطال كتعبير عن الاعتزاز والدعم لهم، وعندما تعرضت مصر لزلزال مدمر في نهاية التسعينات كانت الأولى من بين العرب الذين اقدموا علي التبرع للضحايا والمنكوبين.

في الثمانينات لم يجد عدد من المفكرين العرب المهتمين بقضايا حقوق الإنسان مكاناً يجتمعون فيه غير قبرص وكانت هناك واحدة منهم اندفعت، وبقناعة المخلصين لتتحمل تكاليف ذلك اللقاء وتتبرع، بحسب رواية الدكتور ميلاد حنا، بمبلغ مليوني دولار لتأسيس المنظمة العربية لحقوق الإنسان وتأمين مقر دائم لها في القاهرة، حيث شاركت وساهمت في إصدار ثلاثة كتب عن حقوق الإنسان للتعريف والتثقيف.

من الجامعة العربية في بيروت إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة إلى مدينة عمان، حيث منتدى الفكر العربي، كان لسعاد الصباح اسم وعطاء، تساهم بالدعم المادي وتشجع المتفوقين، وتمنح الجوائز للموهوبين، وفي ذلك إيمان بالفكر وبدوره بالتغيير نحو الأفضل.

لها أياد بيضاء في عمل الخير، وعطاؤها للمحتاجين بئر من الأسرار لا تسمح لنفسها بالحديث عنه أو كشفه، لكن عطاها الخيري ورثته من البيت الذي تربت فيه وتعلمته من زوجها الشيخ عبدالله المبارك وأعمالها الخيرية تتوزع في مجمع عبدالله المبارك في الجهراء وصالة الأفراح بالخالدية والمساجد الأربعة في مناطق الكويت المختلفة، وبتأسيس المراكز الاجتماعية والدينية في الكويت وفي مصر ولبنان وتونس، ناهيك عن توفير التعليم لمئات الطلبة الذين يدرسون في الجامعات الأمريكية والمصرية والبحرينية.

دخلت عالم النشر من خلال إعادة طباعة مجلة «الرسالة» التي صدرت عام 1933م لتسجل بذلك أول إطلالة لها عام 1985م على هذا الفضاء الواسع في المعرفة، لتتجه بعده إلى الاهتمام بتشجيع المؤسسات والأفراد على النشر والإبداع حتى أقامت مؤسستها الخاصة في القاهرة عام 1992م لتنتقل إلى الكويت بعد التحرير وتتابع مشروعها الثقافي.

كتبها في زاويته وجه في الأحداث

جريدة القبس الكويتية

سعاد الشاعرة وهج التمرد العالي

كتب خالد السعد الكاتب والأديب الكويتي في زاويته أوراق أدبية في جريدة «الفجر الجديد» عن عالم الشاعرة سعاد الصباح الشعري:

«إن عالم الشاعرة سعاد الصباح الشعري له أبعاد، ومسافات، وخطوط تتقاطع، وتتوازي، وتختلط.. عالم تسبح فيه المتناقضات في بحر تجري أمواجه بين الحب الرافض، والحب المدمر، والحب المضيء من شفافية زرقته، ورقصة أمواجه، وانسيابها بين رمال الزمن الخالد، وهج الحلم المتمرد على كثير من التقاليد المرة والمربكة والصعبة، والجارحة في إطار مأساة المرأة الخليجية، والعربية بصورة عامة، فهي تصف الرجل بالمستبد، والطاغية، والمستعمر حتى تكاد تصوره بأنها لا يمكن أن تلتقي مع غدره، واستبداده، ولكن في عالم الشاعرة سعاد تبدو المتناقضات تتداخل، وتتزاحم، وتطير إلى فضاءات بعيدة وتخضع لعوامل ذاتية تحبها وترحب بها، ففي الخط الأول يبدو الرجل الطاغية، والمستعمر للجسد، والروح، والعقل، والقلق المرافق له فهي تريد منه فكاكاً، ولكنه ممعن في تعذيبها، واغتراف مشاعرها وحواسها، فهذا الرجل المستبد تتوجه ملكاً على قلبها، وهو «هولاكو» المدمر الباطش والقامع والغازي فلا تتردد أن تكون له نداً، وهذا خط ثانٍ، ومستوى آخر تخاطبه كامرأة تواجه هذا النوع من الرجال بثقافتها، وقدراتها، ووجودها.. تواجهه بغضب فتأمر، وترفض، وتثور، وتصرخ بأن لها كيانها، ومشاعرها، واختياراتها فتطلب منه أن يكون صديقاً يشعرها بذاتها ووجودها، لا مستبداً يلغي وجودها فهي في أزمة

معه، أزمة وجدانية فتستخدم السخرية كمتراص لتحقيق ذاتها:

كن صديقي فأنا محتاجة جداً لميناء سلام.

وأنا متعبة من قصص العشق، وأخبار الغرام

وفي قصيدة الملك:

أصرخ أحبك

فتخرج المدينة برجالها ونسائها

وشيوخها وأطفالها لاستقبالك

إلى أن تقول:

معلنة تتويجك ملكاً على قلبي

وفي قصائد أخرى تكون غير ساخطة على قمع الرجل واستبداده لأن خيالها المسترسل من البساطة إلى التعقيد، ومن القبول إلى الرفض، ومن المستبد إلى المعشوق الذي صنعتة أحلامها، وقناعاتها، وصورته على صور مختلفة إلى درجة أنه يصير طفلاً طائشاً، ومشاعباً فوجه الطفل مناقض لوجه الطاغية، ولكنه يتردد في أصداء القصيدة عند الشاعرة سعاد، فالشاعرة ذاتها ترفض واقع الحال المكتنز بالسيادية، والقمع، والمقنع بالتقاليد، والأعراف البالية، ثم تعود إلى الرجل في تكامله مع المرأة حين يكون الحب صريحاً بكل عنفه، وعواصفه، وقدرته.



سعاد الصباح عروس الكلمة في الكويت

في مجتمع الذكور قلما سلطت الأضواء على جهود المرأة المبدعة. فقط إذا تطرق الحديث عن المرأة يشار إليها أنها الأم التي تربي أولادها وتنظف المنزل وتقوم بواجباتها العائلية. ومع احترامنا لهذه الجهود المنسوبة للمرأة إلا أننا لا بد أن نقف باحترام وتقدير إلى سيدة تخطت ثمرات الذكور ووشوشات النساء الفارغات، وانطلقت في العمل بميادينه المختلفة حاملة قلمها، فكرها، طبيبتها، عطاءها.

امرأة تجدها نشيطة في الشعر مثابرة في الاقتصاد باحثة عن لغة أدبية مختلفة، معطاءة لكل من يطرق بابها، ومع ذلك عندما نتحدث إليها نجدها طفلة يعلوها الخجل والابتسامة البريئة، ونجد خلف العيون صبرا وقوة في الاستمرارية.

سعاد الصباح شاعرة بجدارة الحرف العربي واقتصادية بميزان الاقتصاديين وأدبية بثقافة الواقع المحيط وسيدة خير بشهادة الجميع.

لن أطيل في الكلام عنها، فمن لا يصدق فليقترب منها ليرى أن ما اقوله يشكل جزءا بسيطا من حقيقة المرأة المبدعة والمعطاءة في بلادي.

من منطلق وجودي في الحقل الاعلامي وايماني المطلق بدور الكلمة وحيي لأن تكون الأفضل في كل شيء أعترف أننا في قمة السعادة والفخر بأن سعاد الصباح عروس الكلمة في الكويت وجناح اقتصادنا وشجرة مثمرة للعطاء

والخير، هذا هو رأيي وهذه قناعاتي وهذه سعاد الصباح شريحة للحب وشاعرة
للعطاء، مبدعة، متألفة، دائماً بإذن الله.



سعاد خليجية عاشقة!

سيظل اليوم التاريخي الذي استعادت فيه المرأة الكويتية حقوقها السياسية مرتبطاً بالصورة التي تداولتها الصحف للشاعرة سعاد الصباح وهي تسطر قبلة النصر والامتنان على جبين رئيس مجلس الوزراء الشيخ صباح الاحمد في ذلك الزمن وسمو أمير البلاد الآن.

عدت الى دواوين هذه الشاعرة وجدتها تفيض بالعشق وتفيض بالوجع الذي يفسر هذه النظرة الحزينة التي تملأ عينيها حتى وهي تبتمس، في شعرها الكثير من العشق عشق الرجل، عشق الأرض، عشق الزوج، عشق العروبة.

في عشق الرجل تقول في مقدمة ديوانها «قصائد حب»: «لقد تغزل الرجل بالمرأة منذ بدء التاريخ ولم يترك لها هامشاً صغيراً من الحرية يسمح لها بالتغزل به» وقالت غادة السمان حول ديوانها: أعلنت عليك الحب: «أردت أن أكسر القاعدة وأبدأ بإعلان حبي للرجل. كان على امرأة واحدة ان تبدأ وتعلن وقررت أن أبدأ».

في هذا الديوان تطالب سعاد الصباح أن يكون هناك مساواة في الحب وأن تقول للرجل الذي تحبه أحبك دون أن تذبح كالدجاجة على قارعة الطريق.

وللكويت عشق واعٍ في قلب هذه الشاعرة، فهي تدرك جيداً أن قوة الكويت في حريتها كما تقول في ديوانها: «برقيات عاجلة الى وطني»:

كويت يا كويت

لحرية الرأي فيك تراث طويل

وطفل المحبة بين ذراعيك طفل جميل

وزرع العروبة فيك قديم.. قديم

كهذا النخيل

فظلي كما أنت قلباً كبيراً

ونجماً منيراً

وفي موقع آخر تقول:

يسعدني أن تكون بلادي

ملاذ العصافير من كل جنس

وبيت المغنين والشعراء

وسقفاً لمن تركتهم حروب العروبة

دون غطاء

ويظل من أكثر دواوينها حرقه هو ديوان «آخر السيوف» في زوجها عبد الله

المبارك ومنه:

ها أنت ترجع مثل سيف متعب

لتنام في قلب الكويت أخيراً

كسرتك أنباء الكويت، ومن رأى

جبلاً، بكل شموخه، مقهوراً

هناك الكثير من التعابير الجميلة في شعر سعاد الصباح تلك الشاعرة التي
اختارت قدرها كما قالت في قصيدتها مواجهة الكلمات:

قد كان بوسعي أن أتجمل

أن أتكحل..

أن أتدل

أن أتحمص تحت الشمس

وأرقص فوق الموج كالحوريات

قد كان بوسعي

أن أتجنب أسئلة التاريخ

وأهرب من تعذيب الذات

لكني خنت قوانين الأنثى

واخترت مواجهة الكلمات

وبالذات من اختيار شجاع في زمن أصبح فيه المسك بالكلمات كالمسك بجمرة
والحروف تثير الشهية لآخراسها بالقنابل والرصاص والعبوات الناسفة.

من مقالة لها في

جريدة السياسة الكويتية



الدكتورة هند أديب «لبنان»:

الصورة الشعرية عندها تتعدى الجمالية حتى تبلغ الغور الوجداني

خلال أربعين عاما، وإلى جانب اهتماماتها المتعددة من أكاديمية وبحثية ومهنية واجتماعية، لم يتوقف نتاج سعاد الصباح الشعري يوما، بل على العكس، اتخذ وتيرة متصاعدة باستمرار، فيما عدا السبعينات، حيث لم تشر سوى ديوان واحد «أمنية» لإنهماكها على ما يبدو، في تحصيل العلم وكتابة الرسائل والاطروحات لنيل الشهادات الجامعية من البكالوريوس حتى الدكتوراه في الاقتصاد، كانت العقود الأخرى غنية جدا بالعطاء الشعري، ثلاثة دواوين في الستينات هي «ومضات باكرة» 1961 «ولحظات من عمري» 1961 «ومن عمري» 1964، وأربعة دواوين في الثمانينات «إليك يا ولدي» «فتافيت امرأة» 1986 «وفي البدء كانت الأنثى» 1988 «وحوار الورد والبنادق» 1989، 6 دواوين في التسعينات هي: «برقيات عاجلة الى وطني» 1990 «وأخر السيوف» 1992 «وقصائد حب» 1992، «امرأة بلا سواحل» 1994 «وخذني الى حدود الشمس» 1997 «والقصيدة أنثى والأنثى قصيدة - مختارات شعرية» 1999 وهذا يعني أن سعاد الصباح عاشت العقدتين الأخيرين من القرن الفائت بصفة شاعرة أكثر من أية صفة أخرى، كما أن الوتيرة المتصاعدة لإصداراتها الشعرية، إن كان لها أن تعبر عن شيء، فهي تعبر لا عن ثبات عزيمة في قرص الشعر وحسب، بل عن متابعة دؤوبة للغة الشعرية تنوعت أشكالها وموضوعاتها من عقد إلى آخر ومن ديوان إلى آخر ومن قصيدة إلى أخرى.

وإذا كانت كتاباتها الشعرية الأولى وجدانية ساذجة بعض الشيء، فإن الديوان الوحيد الذي صدر لها في بداية السبعينات كان بحد ذاته إيذاناً واضحاً ببلوغ القريحة عندها لا سن الرشد وحسب، وإنما نضوجاً حمل في طياته بذور المراحل اللاحقة، لا شك أن لـ ديوان «أمنية» موقعا محورياً في مسار سعاد الصباح الشعري، إذ يتضمن هذا الديوان مختلف المدارات التي سوف تنسج حولها وشائج كتاباتها الشعرية الخاصة بها تقريبا.

وفي هذا الخضم من الدواوين المتلاحقة تحتل المرأة مكانة مركزية، غير أن للمرأة عند سعاد الصباح وجوهاً متنوعة ووظائف متعددة، فهي إلى جانب كونها أمّاً وزوجةً وحبّية، فهي مواطنة تائرة وغازبة ومتمردة في كثير من الأحيان. وللمرأة عند سعاد الصباح موقع بين الجماعة تستقي منه نظرتها للحياة وتعيد ترتيب عالمها في سياق هندسي متراكب ومتداخل، يعطي للصورة الشعرية عندها مكانة تتعدى الجمالية المحضة لتبلغ الغور الوجداني لا للمرأة الخليجية أو العربية وحسب وإنما المرأة بشكل عام وبغض النظر عن اللون والدين والقومية.



عدنان الخطيب

صحيفة تشرين السورية

شعر سعاد جسر ثقافي بين الثقافة العربية والبلغارية

الشاعرة البلغارية نيكولوفنا:

سعاد الصباح تلخص الصراع الأزلي

بين الذكورة والأنوثة

قامت الشاعرة البلغارية بيتيا نيكولوفنا بترجمة مجموعة «قصائد حب» للشاعرة الكويتية سعاد الصباح، إذ رأت فيها صوت امرأة عربية تحاول تلخيص الصراعات القائمة بين ما يمكن تسميته «وجهان لعقل واحد» هما الوجه الذكوري، والآخر الانثوي بما يمكن تعميمه حتى على جغرافية أوروبا وغيرها، لأن هذا الصراع يأخذ أشكاله المتعددة لدى الشعوب المختلفة.

وتحمل هذه المجموعة الشعرية مضامين تصور الصراع الأزلي بين الذكورة والأنوثة في العقل العربي، ضمن أساليب وتقنيات إبداعية تقترب قليلاً أو كثيراً من منهجية الشعر الأوروبي المعاصر. لذلك لم يكن من قبيل المصادفة أن تأخذ هذه المجموعة الشعرية طريقها الى الترجمة الى لغات أخرى منها اللغة البلغارية. وعلى ذلك كان حديثي

مع الشاعرة البلغارية بيتيا يتمحور حول سؤال أساسي يتعلق بعقلية القصيدة وأسلوبيتها لدى سعاد الصباح حسب المفهوم الأوروبي للشعر الحديث فأجابت الشاعرة نيكولوفاً قائلة:

وصلتني مجموعات الشاعرة الكويتية سعاد الصباح الشعرية فوجدت فيها ثورة نسائية عارمة تصرخ في وجه الاستبداد الاجتماعي الذي يحاول أن يضغط على عقل المرأة ويسحق عواطفها، فالمرأة اليوم لم تعد مجرد غانية لعوب.. وليست هي أداة لخدمة الرجل، فقد أثبتت الحقائق التاريخية جدارتها في المشاركة والمساهمة في الحياة بكل مجالاتها الثقافية والعلمية والاجتماعية، وقد علمت أن الشعر العربي منذ الأزل تعامل مع موضوعات المرأة بأساليب فنية وفكرية تناقضت كثيراً، فهناك من رأى بالمرأة جسداً أو لهواً وغرائز، وهناك من رأى فيها الحبيبة التي تعزز في الرجل رجولته.. وهناك أيضاً من صور المرأة على أنها رمز لكل متاعب الحياة، على الرغم من أن أساطير الأقدمين أبرزت المرأة ملاكاً معبوداً كما عند البابليين والتدمريين والفينيقيين والفرعنة، وبالنسبة لتاريخ المنطقة العربية، وكما هي الحال عند الإغريقين وغيرهم من الشعوب الأخرى، ولعلنا نتذكر قصة الآلهة السبعة ملهمات الفنون والآداب عند اليونان.

وتضيف الشاعرة البلغارية نيكولوفاً قائلة: لعل سعاد الصباح أدركت ولا شك الحقائق التاريخية الأجل على مبدأ «في النهاية لا يصح إلا الصحيح»، فاستلهمت مواقفها في الدفاع عن حقوق المرأة العالمية

وليس العربية فقط، من خلال ملكات الشرق اللواتي ساهمن مساهمة فعالة بصنع تراثه العظيم أمثال «زنوبيا، بلقيس، جوليا دومنا» التي أثبتت حضورها التاريخي المتميز في سجلات ووثائق الامبراطورية الرومانية.

وحول سؤال: كيف كان صدى المجموعات الشعرية المترجمة «قصائد حب» لدى الأوساط الثقافية البلغارية؟ تقول الشاعرة بيتيا «لم أفسأ أبداً عندما أخذت الاصدارات الصحفية ووسائل الإعلام البلغارية تتناقل أخباراً وتعليقات إيجابية جداً عن هذه المجموعة التي أطلق عليها البعض عنوان: «جسر ثقافي جديد بين ثقافتين: العربية والبلغارية» الأمر الذي جعل الاهتمام الاعلامي كبيراً الى هذا الحد كان بدافع المفاجأة التي تمثلت بالبوح الشاعري لامرأة خليجية استطاعت تجاوز الخطوط الحمراء ضمن مجتمعات لا يزال نسيجها الاجتماعي مبنياً على أسس المفاهيم القبلية، وقد طرقت الشاعرة سعاد الصباح أخطر الموضوعات وأكثرها حساسية لدى المجتمع الشرقي العربي «موضوع الحرية» وما يدور في فلكها من مشكلات وقضايا تتعلق بسؤال الحرية.. فالحرية بالنسبة لسعاد الصباح كل لا يتجزأ، وهي حرية الفعل والعاطفة معاً، والحرية عندها ليست حكراً على معشر الرجال فهي تدعو للمساواة الحقيقية بين الرجل والمرأة، فتهزأ من الرجال الذين يريدون ودون أي منطق موضوعي استلاب المرأة حريتها، فهي تقول:

أيها الرجل المنهك بنرجسيته

والمنهك بتعددته

لا حظاً لي معك..

فإما أن أجذك مكتظاً بالنساء..

أو أجذك مكتظاً بالشعر..

وإما أن أجذك نائماً مع امرأة جديدة..

أو نائماً مع قصيدة جديدة..



تكريم من مختلف الدول والمؤسسات في الكويت والعالم العربي وباقي دول العالم

في الكويت كرمتها جامعة الكويت بمناسبة يوم الأديب الكويتي، كما كرمها معهد العالم العربي في باريس والمنتدى الثقافي المصري وجامعة الدول العربية وجامعة أكسفورد البريطانية بمنحها درجة الزمالة لكلية سانت كاترين التابعة لها، واختارها الأمين العام للأمم المتحدة بين خمس سيدات منهن حرم الرئيس الأمريكي وحرم الرئيس الفرنسي لتكون ضيفة شرف للمؤتمر العالمي للمرأة، الذي عقد في بيجين عام 1995، كما تم اختيارها لتكون عضواً للاتحاد العالمي لاقتصادات الطاقة، وعضو اللجنة التنفيذية للمنظمة العالمية للنساء المسلمات لجنوب شرق آسيا... كما كرمها المعهد العربي الأمريكي للمرأة الخاص بالابحاث والتنمية، لدعمها حقوق الانسان في الوطن العربي، وكذلك اختيرت عضواً بمركز الطاقة بجامعة ساري جلفودر، وعضو مجلس الأمناء في اللجنة التنفيذية لمنتدى الفكر العربي في عمان، والرئيسة الفخرية لجمعية الصداقة البريطانية الكويتية. وقلدها الرئيس التونسي وسام الثقافة التونسية خلال فعاليات تونس عاصمة عالمية للثقافة لدورها واسهاماتها في الثقافة العربية. وكرمتها جمعية متخرجي الجامعة الأمريكية ببيروت باختيارها عضو شرف فيها، واختارها مشروع بحوث الشرق الأوسط والمعلومات بواشنطن عضواً بمجلس ادارته. واختارها المجلس الدولي حول التعليم لأغراض

التدريس في أرلنجتون «فرجينيا بالولايات المتحدة» عضواً بمجلس أمنائه، هذا إضافة إلى كونها عضواً مؤسساً للمجلس العربي للطفولة والتنمية بالقاهرة، والمجلس الاستشاري للاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة بلندن، واللجنة العليا لدعم التعليم بالكويت، وعضواً مختاراً للمجلس الأعلى للتعليم في الكويت، وعضو شرف للمجمع الثقافي العربي ببيروت وعضو مؤسسة الصداقة الكويتية الأمريكية في الكويت، هذا وغيره كثير من التكريم الذي حظيت به وردة البحر الكويتية في كل مكان.



مسك الختام

بعد هذا التجوال في عالم سعاد الصباح الانساني وسيرتها ومسيرتها أرجو أن يغفر لي القارئ تقصيري في ذكر الإضاءات والمشاريع التي شيدها ابنة الكويت والعروبة البارة، حيث لا يتسع لها مؤلف واحد، كما أعتز وأقر أنني مسكونة بحب هذه العروبية القلب والهوى، الكويتية الانتماء والعشق ولذلك كتبت بعيون المحبة ووجدان التعلق بأشعارها وانسانيتها قبل أي شيء آخر، فإن كنت قد وفقت في إعطاء صورة صادقة عن امرأة اعتبرها وغيري كثر من أهم شاعرات هذا الجيل دفاعاً عن المرأة وأكثرهم التصاقاً بقضايا الانسان فله الحمد، وان جانبي الصواب فيشفع لي نبل الغاية وصدق الشاعر تجاه بلد كان لي وطنٌ ثانٍ وتجاه نموذج انساني أحببت أن اكتب عنه للأجيال القادمة ليكون مثلاً يحتذى في العطاء والانتماء للوطن وللقيم الكبيرة.

وأختم بهذه الوجدانية التي أهديتها إياها

إلى نخلة عربية تحبها الحروف

من زمن كان الزمان فيه أخضر العنوان

زهدي بكل ما لديك من ضوء ومجد وعنفوان

واخترت أن تكوني بجانب الانسان

سيدتي: أرجو المعذرة

كانت حروفي شحيحة

وعن سجايك قاصرة

فأخبارك من زمن حكاية أثيرة معطرة

فأنت للثائرين... الدرع والناصره

وللسائلين دوما... مجيبة وساترة

يشفق السعد اسمه من اسمك

وتسعى في ركابك سحائب ممطرة

تحرسك السماء ألف مرة

وتقتفي خطاك الصحة والعافية



٣	وردة البحر
٥	اهداء
٧	تقديم: السيرة والمسيرة لماذا؟
١٥	اللقاء الأول مع: العروس الشاعرة الجميلة ذات الحسب والنسب
٢٥	الفصل الأول: الجذور
٢٧	- البيئة والطفولة والصبا .. ملامح بالغة التأثير
٣٢	- ماما حسنة وإطلاله على عالم الطفولة
٤٣	- زوجة العم أم سعود ولامح من تكوين الشاعرة النفسي
	الفصل الثاني: الحب الكبير والأول والأخير الزوج عبد الله
٥٣	المبارك الصباح
٨٩	الفصل الثالث: أمومة سعاد الصباح وحدائقها البشرية
١٠٤	- القسم الأول: هاجس الأمومة عند سعاد الصباح
١٠٧	- القسم الثاني: ديوانية سعاد الصباح
	الفصل الرابع: أحزانها الغائرة
١١٥	- القسم الأول: تذاكر سفر بلا عودة لأغلى حبات الفؤاد
١١٧	- القسم الثاني: جرح الوطن
١٢٣	- القسم الثالث: الحزن القومي
١٢٩	- القسم الرابع: قهر الأنثى العربية وأوجاعها والقهر الاجتماعي
١٣٧	الفصل الخامس: متفرقات
١٤٧	- القسم الأول: لمحة عن إنجازاتها ومنازلها الحضارية
١٤٩	- القسم الثاني: أعمالها الخيرية لا سبيل لحصرها أو كشفها
١٦١	- القسم الثالث: امتلاك الارادة والأدوات لتوصيل رسالتها
١٦٣	- القسم الرابع: انسانياتها البالغة الحضارة!
١٦٩	- القسم الخامس: الضريبة والتمن الفادح!
١٧٧	



تابع الفهرس

١٨٢ الفصل السادس: تكريمها للكبار وثمره العطاء الكبير

١٨٥ - القسم الأول: الاعتراف بفضل أصحاب الفضل

١٨٨ - تكريم عبدالعزيز حسين في الكويت

- تكريم ابراهيم العريض في البحرين

- تكريم نزار قباني في بيروت

- تكريم ثروت عكاشة في مصر

- تكريم عبدالكريم غلاب في المغرب

- القسم الثاني:

١٩٣ - وردة البحر في عيون الكتاب والأدباء

١٩٧ - جهاد الخارن

١٩٩ - غادة السمّان

٢٠٢ - الدكتور عبدالعزيز حجازي

٢٠٤ - الدكتورة سهام الفريح

٢٠٦ - الشاعرة سعدية مفرح

٢١١ - الدكتور نذير فوزي العظمة

٢١٣ - السفير عبدالمحسن الجيعان

٢١٦ - الفنانة الجميلة ماجدة الرومي

٢١٧ - الكاتب حمزة عليان

٢٢١ - الكاتب خالد عبدالعزيز السعد

٢٢٣ - الشاعر حمود البغلي

٢٢٥ - الكاتبة ريم الصالح

٢٢٨ - الدكتورة هند أديب

٢٣٠ - الكاتب عدنان الخطيب

- القسم الثالث: تكريم من مختلف الدول والمؤسسات في

٢٣٥ الكويت والعالم العربي والعالم.

٢٣٧ - مسك الختام



